# قبائل فيفاء

# البهنوية الخولانية

للأديب الشاعر محمد بن مسعود العبدلي الفيفي

حفظه الله

جمعها

عيسى بن سليمان الفيفي

عام ١٤٤٠هـ

جميع الحقوق محفوظة

# قبائل فيفاء البهنوية الخولانية

للأديب الشاعر محمد بن مسعود العبدلي الفيفي

حفظه الله

(حلقات منشورة حول الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء)

جمعها

عيسى بن سليمان الفيفي

عام ١٤٤٠هـ

جميع الحقوق محفوظة

# مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، ثم الصلاة والسلام على أفضل الخلق _ صلى الله عليه وسلم _ أمَّا بعد:

هذه الحلقات بعنوان: رحلة في كتاب (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء) لمؤلفه الشيخ حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي.

كتبها الأستاذ الأديب صاحب القلم الجميل محمد بن مسعود العبدلي الفيفي رداً على بعض المعلومات التاريخية التي يرى أنه لا بد من الوقوف عندها، وبين وفنّد ووضح شيئاً من غوامض هذا الكتاب.

وأنا هنا أجمع هذه الحلقات كاملة مرقمة حسب الترتيب المنشور في هذا الكتاب لأستفيد منها أولاً، ثم لمن أراد لاستفادة منها وكل هذا العمل وغيره (بعد أخذ الإذن منه أولاً، ثم من ولده المثقف والمبدع أحمد) جمعتها من مدونته المشهورة (إيقاعات سحابة عابرة) وقد سبق أخذ الإذن من المؤلف في صحته لجمع ونشر بعض ما كتبه من مقالات، ما يخص الاستقصاء أو الميساء، فوافق لي شاكراً حسن صنيعي.

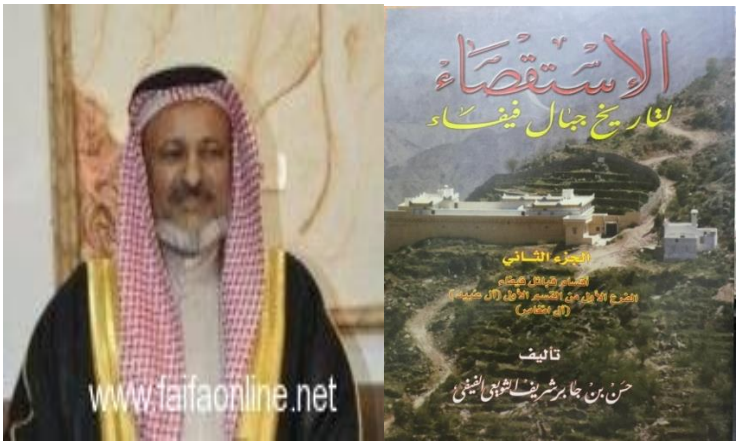


(يظهر في الصورة موسوعة الاستقصاء ومؤلفها)

(١)

في طبعته الأولى وصلني كتاب: (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء)، لمؤلفه الشيخ حسن بن جابر الثويعي، وجاءت مادته في (١٦٢٤) صفحة من القطع المتوسط مقاس ١٧ × ٢٤، واستهلكت خمسة أجزاء، ذات طباعة فاخرة من لونين الأسود والأحمر ترتدي غلافاً أنيقاً ازدان بصورة ملونة لمنزل المؤلف في الهضمة من جبل آل الثويع، حشد فيه واستقصى وأبان عن جهد جبار وعزيمة لا تقهر وهمة لا تلين، إلا أن عمل البشر يظل قاصراً والكمال لله، وقد صدّره بالإهداء كما درج كثيرون من أصحاب التواليف فأهداه أولاً إلى قبيلة مذحج، وهي لَعمري قبيلة عربية ذات مجد تليد وتاريخ حافل بالرجالات والذكر والحسن، وله مطلق الحرية أن يهديه لقبيلة الأزد، أو لقيس عيلان، أو لبكر، أو لتغلب، فذلك كله لن يعترض عليه معترض، ثم شفع إلى قبيلة مذحج آخرون، فقال: (إلى أولئك الذين يتطلعون إلى دراسات تاريخية جادة تنفض عن كاهل تاريخ جنوب سراة جنب "فيفاء" غبار الزمن) ج١ ص٥.

وهكذا يفاجئك بعبارة (جنوب سراة جنب فيفاء) دون أخذ القارئ بالتدرج كي يستوعب العلاقة بين سراة جَنْب وفيفا، ولم يفرد فصلاً جغرافياً عن سراة جنب، ويتتبع أوهام الحسن بن أحمد الهمداني في الصفة وكل من تابعه إن كان واهماً أو مخطئاً، لكنه أدرك أي صاحب الاستقصاء أن في ذلك هدم كبير لعبارته: (جنوب سراة جنب فيفا) انظر الهمداني ماذا يقول: (ثم وادي بيش ومآتيه من قيوان وبلد بني عامر من الغور ودفا من شمالي بلد خولان وجنوبي بلد جنب). صفة ٧٣ .

لحظة .. لحظة ! .. هل سمعتم الهمداني قال (دفا) ؟ إذن فـ (دفا) عند الهمداني تقع شمال خولان وجنوب جَنَبْ .. وعلى هذا؛ لكي تصبح فيفا ضمن (سراة جنب) على حافتها الجنوبية بحسب الاستقصاء ورقعة الشطرنج هذه؛ يلزمنا تحريك وادي دفا جنوباً حوالي ٧٠ ميلا، إن كان أقل مشقة من تحريك جبل فيفا شمالاً بنفس المسافة لثقل وزنه وبذلك ينضبط النص ويتوافق جغرافياً مع تقريرات الاستقصاء.

وقال المؤلف: (ومما يترجح عندي أن سكان جبل فيفاء في العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام هم من الفروع المذحجية ولعله كان منهم الفروع الآتية: (قبيلة رهاء)، (قبيلة بني هلال)، (عبس مراد)، (بطون من أبناء شكر)، (بطون من آل سلمان)، (بطون من أبناء عمر بن عوثبان)، (بطون من أبناء صداء)، (بطون من أبناء منبه)، (بطون من أبناء سعد العشيرة) ص١٩٥ الى ص٢٠٤ بتصرف.

قلتُ: هذه فنتازيا ولا بأس بها قليلاً، وتلك بطون مذحجية إلى أن يَثْبُتَ تاريخياً وجغرافياً أن جبل فيفا كان يعيش ذات يوم جنوب سراة جنب، وانتقل في ظروف غامضة إلى الجنوب ليطل على البحر الأحمر! .. لقد كنت أعتقد أن الهجرة والارتحال من خصائص الإنسان وليس للجبال الراسيات، إنما للتاريخ عجائبه وغرائبه الجغرافية التي لا تنقضي من الاختزال والتحريك والطّمر وإيجاد المعدوم، وتتغيب الموجود، حتى يصبح مادة متقبلة يسهل هضمها ليس عند نقاده بل لدى دهماء العامة وليعذرني القارئ الكريم حين أعرج على هذا المنطق الخيالي لا لأن أحداً من الأجيال سيتقبله، وقد قدم له بالقول: (يترجح لدي والله أعلم) و( أظن والله أعلم) و(أعتقد والعلم عند الله) و(لعله) و(ربما كان)، والمؤلف بهذه العبارات الدالة على الرجم بالغيب، والظن، يدرك أن تقريراته من قبيل القصص والحكايات والأساطير التي لا تلزم صاحبها أن يكون منطقه في الصدق

والحقيقة، ومن سَهُل عليه نقل جبل فيفا ـ على ضخامته ـ إلى جنوب سراة جنب، فلن يعجز عن نقل تل صغير هو (حَمُومَة) من (جُرَش) بأحد رفيدة؛ ينقله بخفة متناهية إلى ضفة وادي ضمد وانظر إليه حين يقول: (يوجد قليل من النقوش القديمة من الخط المسند على صخرة في سفح جبل فيفاء على ضفة وادي ضمد جنوبي حول أسفل مفتح وداي (ظالم) بالجهة الجنوبية الغربية لفيفاء إلا أن هذه النقوش لا تحمل أي أهمية لأنه لم يعد يتضح منها سوى كلمات بسيطة تدل على أسماء منها: (حياة بنت منبه)، (صعب)، (ذرحان)، وقد عبثت أيدي الرعاة وغيرهم من الذين يرتادون هذا المكان من هذا الوادي بكثير من هذه النقوش على تلك الصخرة).

وفي الهامش يقول: (قمت برحلة على هذا الموقع أثناء جولاتي الميدانية ( ١٤١٨ و ١٤٢٧ هـ) ص٢٣٧.

قلتُ؛ أولاً: هذه الخربشات التي نشرها المؤلف بخط المسند على ثلاثة أسطر، لا وجود لها على ضفة وادي ضمد، وإنما كُتِبَتْ على صخور متفرقة في رأس تل (حَمُومَة) على ضفاف مدينة جُرَش المندثرة بأحد رفيدة من خميس مشيط.

ثانياً: فيما يخص النص الأول (السطر الأول) أخطأ في نقله أسلوبياً وإملائياً، فهذا النص كتب بالطريقة المحراثية من اليمين لليسار ثم العكس أما المؤلف فقد جعل النص سطراً واحداً بخط المسند هكذا: (ح، ي، ا، ت، ب، ن، ت، م، ن، ب، هـ)، بزيادة حرف العلة ألف، وهذا النص أصله من ثلاثة أسطر تحت رسم غائر في صخرة يمثل صورة أنثى، والنص على هذا النحو:

١ـ ح، ي، ت، ب،٢ـ ن، ت،٣ـ ه ،ب ،ن ، مو هكذا لا وجود لحرف العلة كما ترون.

ثالثاً: السطرين التالي بحسب ما جاء في الاستقصاء: (ص، ع، ب،)، فلا ينتمي إلى المكان الذي يوجد به النقش الأول وإنما من صخرة مجاورة إلى الأسفل غرب.

رابعاً: السطر الثالث، أورده هكذا: (ذ، ر، ح، ا، ن)، فأخطأ في نقله وزاد حرف علة وإلا فهو (ذ، ر، ح، ن،) بدون ألف.

خامساً: النقوش والخربشات الخاصة بتل (حَمُومَة) ومن ضمنها النص الوارد في السطر الأول (حياة بنت منبه) سبق أن نُشِرَ عنها دراسة أثرية متخصصة في مجلة (بيادر) الصادرة عن نادي أبها الأدبي أواخر الثمانينات الميلادية من القرن الماضي.

سادساً: هيئة الآثار والمتاحف بمنطقة جازان ستعتبر ما نشره المؤلف من النقوش كشفاً أثرياً يستحق العناية والاهتمام، وأتمنى أن لا يكون مشابهاً لنقوش الرفاعي في جبل العبادل التي عجز تماماً أن يهتدي إليها حينما خاطبته هيئة الآثار رسمياً بعد مقالتي في الجزيرة، طبعاً لن يخيب الأمل فالكاتب هنا ذكر في الهامش أنه زار النقش لمرتين متتاليتين وحدد موضعه فما رأي القارئ إن لم يعثر عليه في ضمد؟ هذا ما أؤكده لكم سلفاً، وإنما نقل جُرش إلى ضمد كما نقل فيفا إلى شمال وادي دفا.

أما منهجه فغير مضطرد، وتأمل كيف يقبل رواية الآحاد، ويرد المتواتر قال في رده على الشيخ على بن قاسم:

(أولاً: إن هذه القبيلة (عبس) التي ذكرها الباحث (يقصد الشيخ على بن قاسم) والتي تعتبر من قبائل منطقة جازان في الوقت الحاضر لا تعود في نسبها الى قبائل فيفاء ولا حتى إلى خولان كما ذكر ـ حفظه الله ـ بل هي قبيلة عدنانية تعود من أبناء عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ). ص٢٨١ .

قلتُ: أما لماذا أخرج عبس من خولان؟ فبموجب الرواية التي سيوردها لنا حيث يقول: (وفي مقابلة مع بعض أعيانهم ومنهم الشيخ ملهوي بن أحمد بن رديني بن جابر بن علي الملقب أبو راسين ابن محمد العبسي ذكر لي أن أجدادهم يذكرون لهم أنهم قدموا من الشام أي من الشمال منذ زمن طويل). ص٢٨٢.

قلتُ: هذا ميزان مختل ، كيف تخرج عبس من خولان بشهادة رجل واحد لمجرد أنه ذكر الشام ؟ وترد شهادة خمسين ألف رجل يقولون لك نحن أبناء هانئ بن خولان ؟ وتنسبهم كُرها وجبرا وغلابا إلى مذحج وليس أبيهم، تفعل ذلك عيانا بيانا جهارا نهارا، وتتجاهل أن الناس مؤتمنون على أنسابهم ، وقد لعن الله ورسوله من انتسب إلى غير أبيه .

(٢)

قبل استكمال رحلتنا يحسن بي أن ألفت نظر السادة المتابعين إلى أن كتاب (الاستقصاء لتاريخ فيفاء) لم تصدر طبعته عن دار نشر ولا يحمل تصنيف أو فهرسة، وعلماً أن تاريخ الطبعة الأولى : ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

قلتُ: فقبائل فيفا تنتسب إلى (خولان بن عامر)، الذي هو (عمرو)، وهذا الـ (عامر) في أنساب فيفا هو (عمرو) كما نص الشيخ علي بن قاسم الفيفي وغيره ممن بحثوا وحققوا.

إن المعضلة الحقيقية والعقبة الكأداء التي تعترض الباحث في أنساب فيفا هي تلك الفجوة الكبيرة في سلسلة الجدود لكي تتصل بـالأصل (خولان بن عامر) الأبعد، أو الفرع (هانئ بن خولان) الأقرب، وهو من تنتسب إليه قبائل فيفا (فرعاً) وإلى خولان (أصلاً)، وبه تواتر نسبهم، وحفل شعرهم، واشتهر فيهم كالصبح، وأثبتت القرائن العقلية والمنطقية صحته حيث لا خلاف في ذلك، وحين عجزت البحوث الرصينة عن رأب تصدعات سلاسل النسب، وبقيت تتراوح في نقطة ثابتة دون أن تجتازها، كان لا بد من شيء جديد ومثير وهو ما انتهجه صاحب الاستقصاء حين ذهب (يفتش عن الشِّلن في النور)، والقصة بزعمهم أن صعيدياً أسقط (شلنا): عملة معدنية؛ في ركن مظلم من أحد الشوارع، فسأله العسس: ما الذي تبحث عنه؟ أجاب: أفتش عن الشلن الذي أضعتُهُ، سألوه: وأين سقط منك؟ قال: هناك في المنطقة المظلمة من الشارع!. قالوا: فابحث عنه حيث سقط منك .. أجاب: ولكن الدنيا هناك مظلمة وهنا نور! ..

انتهت الحدوثة ... ورغم النور فإنه لن يجد الشلن طالما فتش عنه في المكان الخطأ..

ومؤلف الاستقصاء صدمه الفقر الشديد الذي يحيط أخبار فيفا وذكر أنسابها وأمجادها ولم

يقرأ مقدمة ابن خلدون قراءة تَتَلْمُذ وإلا لكانت زالت عنه تلك الصدمة، وحين تعذر عليه سد ثغرات سلاسل النسب والاتصال بـ (خولان) ذهب يقلب في أنساب مذحج ليس لما أفاضه عليهم النسابون والمؤرخون في الجاهلية والإسلام، من تفصيل في النسب، والأخبار، والتراجم، والوقائع، ولكنه التقط وهما لعاتق بن غيث البلادي الذي أورده في كتابه بين مكة واليمن، فعزم على ضوء ذلك الارتحال إلى منطقة أخرى هرباً من ضنك البحث وشح المعلومة وندرتها عن خولان، إلى ما يعتقده يمثل السعة والثراء في المادة المدونة عن مذحج، ولسبب لا أجهله فقد عقد الفصل الذي يناقش نسب (فيفا) آخر الجزء الأول صفحة ٢٧١ وترتيبه الخامس والأخير، وليس هذا مكانه على الاطلاق بل في الفصل الأول مباشرة، لكنه اختار له هذه الترتيب عن قصد وسوء تدبير ..

أما القصد: فهو إعطاء الفرصة الكافية لجرعة التذحيج التي بدأها من السطر الأول، وأما سوء التدبير: فكان هذا الاختيار في الترتيب الذي كشف منهج الرجل في فرض المذحجية التي لا سند لها ولا دليل.

وجاء تحت عنوان (قبائل فيفاء القحطانية واختلاف المؤرخين في نسبها)، فتحاشى نسبها إلى خولان إمعاناً في تكريس الواقع الجديد الذي فرضه قسراً، وبغض النظر عن كلمة (القحطانية) التي دسها في العنوان قبل أن تتأكد المذحجية بصورة علمية، وفي هذا الفصل ـ (الخامس) ـ يجعل اختلاف المؤرخين والنسابين مقدمٌ عنده على اتفاق أهل الشأن ـ وهم أبناء فيفا من (الحَلْفَة للمَيْثَة) ـ على أنهم ينتسبون (لخولان)، وهو اتفاق غير حادث، أولا طارئ، أولا وليد حقبة زمنية معينة دون سواها، فتعلق بأهداب خلاف مزعوم لم يثبته على مدار هذا الفصل، رغم إصراره الغريب وتفانيه في توجيه مسار البحث ليتفق مع خارطته التي رسمها سلفاً، بصورة قاطعة أنه لا يمتلك أدوات الباحث

المتمكن، ومنها ما تبقيه محايداً منتصراً للدليل الأصوب والبرهان الجلي، وتدفع عنه مغبة التنظير لرأي لا تدعمه القرائن والبراهين بل لا يعدو مجرد وهم ليس إلا، فلم يأت في هذا الباب على ذكر انتسابهم لخولان إلا لينفيه، ولم يعرج على ما تناقلوه عبر الأجيال، ولم يستشهد بأشعارهم التي تشير إلى نسبهم الخولاني، وضرب عن ذلك صفحاً واستعاض عنه بالأشعار التي تخلد وقائع وأيام مذحج، وأخبارها، وحين جد الجد إذا به يقع في ذات الإشكال من ضياع سلسلة النسب لمذحج فالذي جرى لأنساب خولان قد جرى لأنساب مذحج؛ وكأنه لا فرق، فذهب يعتذر في معرض قوله: (ونعود بالحديث إلى جبال فيفاء التي تسكنها فروع من هذه القبيلة (مذحج)، لنتحدث عن مرجع أصول هذه القبائل بـ (فيفاء)؛ وإن كانت المصادر التاريخية وكتب الأنساب القديمة والحديثة لم تسعفنا بتسلسل أسماء القبائل الفرعية حالياً إلى أصولها الأولية). ج١ ص٢٧١.

قلتُ: إنه يكرس عبارة (مذحج)، هكذا، بدلا عن (خولان) التي تحاشاها بكل ما أوتي من أسباب وذرائع، وهو ذات التكريس الذي افتتح به الكتاب فانطلق من الإهداء يروج لعبارة (جنوب سراة جنْب فيفاء)، وكان الأجدر هنا أن يقنع القارئ بوجاهة ومنطقية هذا التحول من (خولان) إلى (مذحج)، علما أنه لم يجد ما يشفع له سوى القول: (منها [يقصد مذحج] قبائل فيفاء التي اختلف في أصولها بعض من الباحثين فمنهم من نسبها إلى قبيلة مذحج ... ومنهم من نسبها إلى خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وهذا الاختلاف يدل على اختلاط مذحج بخولان قضاعة ولا شك أنه بسبب الاختلاط تتولد الأنساب. فمن قال أنهم من خولان قضاعة فقد اختلط عليه الأمر لمخالطة بعض من قبائل مذحج لقبائل خولان قضاعة). ج١ ص٢٧٣ .

قلتُ: هو عاتق بن غيث الذي نسبها لمذحج ونقل عنه نفس النص لكن الباحث زعم التكثير وسيمر بنا تهافت زعمه هذا ولن أتحدث عن نظريته: (الاختلاف يدل على الاختلاط) أو نظريته: (بالاختلاط تتولد الأنساب) والفكرة ليست له إنما تشوهت معالمها حين تدخل في صياغتها ولأن ما سيقال عن مذحج وفق هاتين النظريتين وجب أن يقال عن خولان، وكان سيشفع للمؤلف لو أنه عقد فصلا يرصد فيه خلافات الباحثين وذرائعهم التي زعمها ولم يوردها حول نسب خولان، ثم يناقشها باستفاضة، ويقتلها نقداً ومحاكمةً، ثم يبني تقريراته على منطلقات صلبة وحجج قوية، ويجيب على التساؤلات التي قد تطفو على السطح مثل: أسباب ذوبان مذحج في خولان، أو العكس، والغلبة التي فرضها الاختلاط، ثم السبب لبقاء قبائل فيفا على القول بأنهم (لخولان) نسباً؟ ثم غياب مذحج عن نسب هذه الأمة فلا ذكر له على الاطلاق؛ طالما علمنا أنه لا يسقط النسب بالولاء.

ويكون بهذا أبقى بحثه عملاً يمكن أن يعتد به؛ لا أن يأتي على هذه الشاكلة من الوهن والهشاشة والضعف، فيجعل قول عاتق بن غيث البلادي اليتيم راجح على أقوال عدد من الباحثين تناولوا نسب فيفا وهم من أبنائها وفي مقدمتهم الشيخ علي بن قاسم وأهل مكة أدرى بشعابها، إنما تكثّر بمن نقلوا نفس القول عن البلادي وهم اثنان ويجعلُ ذلك مسوغاً لرد اتفاق مئة ألف فيفي يشهدون أن جذورهم تعود لـ (خولان بن عامر)؟، أليس في ذلك إشارة واضحة للشطط، والافتئات؟ .

وتتكرر المجازر الوحشية عند ذكره (اليهنوي) فساق غاية الإفلاس، وامتار سقط المتاع، وكشف جهله الذريع بلغة العرب ولسان فيفا وخصائصه اللهجية، وبعد فاصل صاخب من الحوس والدّوس قال: (وهنا أحب أن أشير إلى أن كلمة (يهنوي) لا تعني النسبة إلى

(هانئ بن خولان) كما يعتقد البعض ولو كانت نسبة إلى جد لكان نسبة هذا الجد (يهنأ أو يهنو) ولو كانت كلمة (يهنوي) نسبة إلى جد اسمه (هانئ) لقيل: (هانوي ـ هانئي) وبالجمع (هانويون ـ هانئيون). ج١ ص٢٧٥.

قلتُ: على رسلك فإن الأصل (الأهانئة) وهو ما غاب عن المؤلف، فـ (يَهْنَوِي) مفرد، وجمعه (يهانية)، وبحسب لسان فيفا فإن (يهنوي) تقلب ياء النسب في أوله عن الهمزة (أهنوي) ويحل (الواو) محمل النبر الأخير من الاسم، وأصل النسبة (أهنإِي)، كأصلتي نسبة للصلت، ـ بعضهم يرسمها (أهنئي) وهو خطأ ـ ، وهكذا في (يهانية)، (أهانئة) على ميزان جمع التكسير، و(الأهانئة): نسبة لرجل اسمه هانئ، وفي هذه البيئة اللسانية التي تتحاشى النبر وتستبدله (بالياء) و (الواو)، نجدهم يقلبون ألف النسب إلى (ياء) في أول الاسم بدلا عن الهمز، أما في آخره فتكون الواو (للمفرد) يهنوي، والياء (للجمع) يهانية، وذلك لتحاشي الثقل، ولاتساق التركيب الصرفي والبناء الصوتي، وهنا ندرك أن (اليهانية) قوم ينتسبون إلى (هانئ بن خولان) وهو تركيب عربي صحيح ونسب سليم لا غبار عليه، والقلب شائع في ألسنة العرب، وهنا نكتشف أن ذريعته لإسقاط (هانئ بن خولان) والنسبة إليه، قد انهدمت كسابقاتها ومن يعالج أمراً لغوياً كهذا، وهو أعزل من لغة العرب، ومن فقه البيئة اللسانية (لخولان بن عامر) فسيكون هذا أقصى ما يمير أهله.

(٣)

كاد الجد هانئ بن خولان الذي تنتمي له قبائل اليهانية ومنهم فيفا أن يعتزل دوره في فروع نسب خولان بن عامر، ويتحول إلى مجرد حلف من اختراعات المؤلف، لمجرد أن النسبة إلى (هانئ) لا بد أن تكون (هانوي ـ هانئي)، وقد أشرنا إلى ذلك في الحلقة السابقة من هذه السلسة وناقشناه هناك، وحين انتهى من هانئ بن خولان عرّج على ذكر (فرود) فقال: (وكذلك كلمة (فرود) لا تعني أيضاً أن قبائل بلغازي ومن ينضوي معهم من القبائل تحت اسم (فرود) أنه نسبة إلى جد اسمه (فرود بن خولان) فلا يوجد شخص بهذا الاسم في كتب الأنساب حسب اطلاعي). ج١ ص٢٧٦.

قلتُ: كلامه صحيح فلا وجود لـ (فرود بن خولان) في كتب الأنساب، لكن صاحب الاستقصاء فاته أن ما جهله النسّابون، وخفي عنهم، ولم يحيطوا به، أكثر مما أثبتوه، فلا يعني أن عدم ذكره في أنساب خولان أنه لا وجود له، ولا يقول بذلك من لديه أدنى دراية بواقع المعارف الإنسانية التي تركها السابق للاحق، والبلدانيون لم يذكروا (فيفا) من الحسن بن أحمد الهمداني، إلى الأمير نصر بن ماكولا، إلى الشيخ ياقوت الحموي، ولم يولد (جبل فيفا) على الخريطة إلا متأخراً، وعدم ذكرهم له لا يعني عدم وجوده، وأصحاب الشأن ومن ينتمون إلى هذا الجد يقولون: نحن أبناء (فرود بن خولان) من أخوة (هانئ بن خولان)، حينها نعلم أن كتب الأنساب قد أسقطت فروعاً كثيراً من القبائل العربية، وفي هذا دليل قاطع على القصور الذي اعترى تدوين الأنساب، ولا يستدل به على عدم وجود أمة من خولان تنتمي إلى جد يعرف بـ (فرود)، والباحث في أنساب خولان حين يتجاهل الواقع الراهن للتشكيل القبلي، فلن يضيف شيئاً يذكره له علم الأنساب،

وأصحاب الحواشي مغرمون بتطبيق الماضي السحيق على الحاضر الراهن، فإن لم يتطابق معه تماماً وضعوا التفاصيل المنظورة في قائمة المعدومات التي لا أصل لها، والباحث المتمكن لا يطَّرِح الواقع بحجة أنه لم يرد في سجلات الماضي، والباحث المتمكن يبتهج حين يعثر على شعب من الشعوب يقول: نحن ننتسب إلى جد قديم اسمه (فرود بن خولان) فيثبته في بحثه، ولا يرد عليهم بالقول: أمهلوني لحظة لأرى هل ورد له ذكر عند النسابين أم لا؟.. كما فعل صاحب الاستقصاء بشأن (فرود).

والمسألة ببساطة شديدة، يجب عليك أيها الباحث في تاريخ فيفا وأنسابها النظر إلى الحاضر وليس العكس، وهكذا في كل علم تستوعبه منظومة المعرفة، وعليك أيها الباحث في تاريخ فيفا وأنسابها أن لا تنشر أبحاثك في الناس دون إخضاعها للدراسة المتأنية والنقد والتمحيص، لأنها ستأتي شوهاء، عابسة مكفهرة، وحينها لن يرحمك النقد ولن تكبحه عباراتك التي تقول: لا تنتقدوني فإنكم إن فعلتم كانت لغتكم غير علمية، وأهدافكم غير شريفة، ومقاصدكم لا تمت لأدب الحوار والنقاش العلمي بصلة، وإنما أبنتم عن الحسد والغيرة التي تجيش بها صدوركم الضيقة، ثم تعزز مقولتك بالبيت القائل:

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ❊❊❊ ولكن عين السخط تبدي المساويا

فهذه الموعظة لن يلتفت إليها النقد.

ولمؤلف كتاب (الاستقصاء لتاريخ فيفاء) أسلوبه الغريب ومنهجه المتطرف في الاستنباط، فيما يخص النسب كما رأيناه في مسألة (فرود) وكما سنرى لاحقاً، أما القراءة الجغرافية فآية أخرى وأعجوبة من العجائب، وهو يلوي أعناق النصوص ويسوق المهلكات، وتأمله حين يورد كلام الدكتور سليمان بن قاسم الفيفي في قوله: (إن فيفاء

تطلق على عدة جبال ..... وليست جبلاً واحداً كما يفهم من الاسم .... ويطلق على مجموع هذه الجبال (فيفاء). ج١ ص٤٨.

لا تستعجلون بالله فقط امهلوني ثواني! .. المكان المعبأ بالنقاط في النص الذي نقله من الدكتور يعني التصرف في العبارة المنقولة، بالله أمهلوني مزيداً من الوقت لأخبركم السر وراء ما يمهد له! ، إنه بهذا التصرف في النص المنقول عن الدكتور إنما أملاه وفرضه حشد الأدلة والقرائن التي تفيد امتداد فيفا وتعدد جبالها بحيث تتصل جغرافيا بتهامة قحطان!، إنه الآن يمهد لشيء ما، ولستم في حاجة لإدراك مقصد الدكتور من قوله (عدة جبال) لكن الذي اقصاه من العبارة صاحب الاستقصاء أن هذه الجبال المتعددة تجمعها (قاعدة واحدة)، لا بأس دعونا نمضي معه لنكتشف سبب تصرفه بالنص وكيف سيقرأه، ويحشد مزيداً من القرائن ويضيف: (وقال الباحث محمد بن فرحان الفيفي: ويحدها أي فيفاء من الجنوب جبل العر وهو جبل شاهق يتاخم جبل فيفاء من الجهة الجنوبية) نفس الصفحة.

قلتُ: ما هذا؟ أنا جاد جداً في تساؤلي، متى كان جبل العر يحد فيفا من الجنوب؟ ثم لماذا هذا القلق في عبارة محمد بن فرحان؟، قال (يحدها من الجنوب الجبل جبل العر) ثم (العر جبل متاخم لجبل فيفا) وكل ذلك في سطر فالذي يحدك في المال هو من تتماس أرضيكما بعضها ببعض، وتتلاصق، وتتلاحم، وتتداخل، بينما الذي يتاخمك هو من يسامتك تراه وتبصره من موضعك على نفس الامتداد الأفقي، وقد لا تشترك معه في الحدود، الذي يتاخمك الذي يوازيك ويقابلك ويناظرك ويقف معك على أفق مشترك، ولستم في حاجة لاستنباط ما يعنيه الباحث محمد بن فرحان من عبارته الغريبة السابقة ولكن ربما ستجدون السر في مسألة الحدود السياسية بين بلدين.

وإن لم يكن الأخ محمد بن فرحان قد انضم إلى ركب الباحثين فسيأتي ليبين لنا الفرق بين (الحد) و(المتاخمة) في هذا النص الغريب العجيب في كافة ملامحه، إنما أطلب منكم مهلة أخرى لأذكركم أن الباحث أورد النص السابق في خضم حشده للقرائن والأدلة لشيء ما يمهد للوصول له، فأضاف: (ومما يُدَعِّم ما ذكره الباحثان ما أورده الكبسي في اللطائف السنية مانصه: (فيفاء أرض نازحة متصلة بأرض قحطان وفي التهايم إلى قرب وادي ضمد، وهي أي فيفاء مسير عشرة أيام جبال ووطى) هكذا!. نفس الصفحة.

فلم تعد فيفا (جرفُ يومٍ ولـ امشروقْيَة)، لقد كان يحشد الأقوال التي يراها تسهم في تمدد الحدود وتكثير الجبال، فمط الخريطة حتى أوشكت على الانقطاع من أجل أن تقفز فيفا إلى تهامة قحطان، لأنها إن فعلت أمكن دمجها ولو تلفيقاً في سراة جنْب، وحينها تعيش مقولة (مذحجيتها) أسبوعاً آخر ليس أكثر وفقاً لتكلفات المؤلف التي لا تدعمها حجة مهما كانت في متانتة خيط العنكبوت، فإذن لا تتعجب لاحتفائه بنص هذا الكبسي، الذي ضرب عنه صفحاً فلم يعقد له موازنة تبقيه في حقل الجغرافيا، بل تركه يواجه مصيره المحتوم من الموت والفناء، لقد قلت لكم سابقاً إنه يعمدُ إلى تهذيب الشواهد التي ساقها قبل كلام الكبسي لتكون مؤيدة له، متجاهلاً الشذوذ الذي اعتراه حين لم تكن فيفا في يوم من الأيام إلا التي نعرفها، لكن مهلاً فالباحث لم يكتف بهذه الفيفاء التي منحه إياها الكبسي في اللطائف بل استدرك عليه بين قوسين قائلاً: (قلتُ : يقصد صاحب المخطوط قرب قرية ضمد، وأما وادي ضمد فإن أكبر جزء منه هو من قرى فيفاء من الجهة الجنوبية الغربية).الاستقصاء ط١ (١٤٣٢) ج١ ص ٤٩.

وهكذا يخلص الباحث إلى أن فيفا تشمل مساحة أكبر مما هي عليه الآن.

قلتُ: رغم مناقشته لموضوع جغرافية فيفا كما مر بنا إلا أنني ما زلت أحسن به الظن ملتمساً له الاعذار من: جهل، وقلة معرفة بالبحث والتصنيف، ونقد القرائن، واستصحاب العقل والمنطق، فوقع في مغبة عدم الركون إلى الصواب كونه مشهوراً وسُبِقَ إليه، ولم يتجنب شاذ الأقوال وما لا يصح تحت إغراءات الجدة والحداثة.

ولأنْ يأتي الباحث بالقليل من الصواب في حلة قديمة، خير له وأبقى لجهده من أن يجلبه مزخرفاً بوشي لأباطيل الفريدة المبتكرة.

ولأن الشيء بالشيء يذكر سأختم حلقة اليوم بطرفة تشف عن منهج الباحث في الاستقراء واستنباط الشواهد وذلك في معرض حديثه عن قبيلة آل عبدل التي أنتمي إليها فقال: (وقد جمع الشاعر: يحيى بن محمد العبدلي أكثر بطون قبيلة آل عبدل في هذه القصيدة:

١ ـ معي قبيلة رادية وسيل دحان * * * امثابتي وِمحِسيني وهل خطفان

ولا تهون اهل امحقب

جمعت رجال امحانبي من حيث داعيهم

٢ـ وباقي امجذمين من حربٍ وردّان * * * وشرة الشر من يقرع كل شيطان

نفرح بطيلاع امسبب

دعوة من الله والنبي ذهب الحيا فيهم)

الترقيم من عندي، إنما يعلق بقوله: (هنا يشير الشاعر عندما قال: (وباقي امجذمين من حرب وردان) أن باقي هذين الجذمين من سلالتي (حرب) و(ردَّان) وهما بطنان قديمان من بطون قبيلة آل عبدل القديمة اللذان لم يرد لهما ذكر لقدمهما إلا في هذه القصيدة). ج٤ ص٣٤٥.

قلتُ: لن أطالبه هنا بذكر الراوي الذي نقل له النص لأن ذلك لن يجدي نفعاً، وإنما لا تروى هذه (الزملة) كما أوردها المؤلف، فالشطر الثاني من (١) يروى: (امثابتي مع امحسيني واهل ختفان) وليس خطفان الذي سنؤجل الحديث عنه إلى حين، أما المصراع الأخير من (١) فيروى: (صلّةْ رجال امِحنبي من حيث داعيهم) وليس (امحانبي) وهذا التعديل والاستدراك لا يؤثر كثيراً، ولكن في (٢) حدث استبدال حرف الجر ((في) بـ (من)، وهذا الشطر الأول من (٢) يروى: (وباقي امجذمين في حرب وردَّان) وصحة الشطر الثاني: (وشرة الشر تا تقرع كل شيطان) والمصراع صحته (تفرح بطيلاع امسبب)، هذا ما يختص بالرواية الصحيحة لما ساقه من شعر يحيى بن محمد أعلاه، والباحث لم يسأل الرواي عن الجذمين ولم يتوقف عند عبارة (وباقي امجذمين) ويتساءل عن المعنى المقصود، هل يقصد البقية الغائبة عن النص التي لم يذكرها الشاعر؟ أم هي بقية من أقوام منقرضة؟!! لا إله إلا الله .. الجذمين الَّذيْن قصدهما الشاعر هما: (آل مهطل، وآل التليدية) في أصح الأقوال، ومن لديه علم آخر فليبديه .. وكانوا يعرفون بـ (امجذمين)، لكن صاحب الاستقصاء لا يتورع عن الابتكار فيأتي محملاً بكل غريب، ومعنى قول الشاعر (في حربٍ وردّان ):

١ـ الكر والفر ، ٢ـ النكاية بالعدو عبر هجمات متتالية، ٢ـ رد الصاع صاعين، و(الردّان ): اسم المفعول، من الفعل الماضي رَدّ ، أعاد، ومنه: أجاب، ناظر، حاور ..الخ، فلا بطنٌ هناك ولا ظهرٌ أشار إليه الشاعر خلاف من ذَكَرهم، وإنما المنهج الاستقصائي دعا المؤلف أن يضيف بطنين لآل عبدل هما:(حرب) و(ردّان).

(٤)

يتكرر الإقصاء في "الاستقصاء" بما لا يخطئه السمع والبصر وكأن جفوة قائمة بين مؤلفه وبين كل ما هو خولاني، جفوة تحرضه على ابتكارات لا يمكن حملها على حسن النية مهما تكلفنا ذلك في ظل غياب الأدلة التي تشفع للباحث فاستعاض عن ذكر خولان بحمير ولا ضير ثم يصبح (اسم اليهانية يمثل اسماً لعدة قبائل كهلانية، وحميرية، وعدنانية، قديمة ). ج١ ص٢٧٥.

وهذا فقط لدى مؤلف الاستقصاء (القرن الخامس عشر الهجري) بينما هو غير ذلك لدى الحسن بن أحمد الهمداني مؤلف الإكليل (القرن الرابع الهجري)، فقد ذكر صاحب الإكليل تحت عنوان نسب "هانئ بن خولان" وصنّفها بادية كلها، ما نصه: (وولدَ هانئ بن خولان: هلالاً، وعلياً، وهو العلي، فولد هلال شرحبيل وهلالاً، فولد هلال شرحبيل الأصغر، وجابراً، ابني هلال الأصغر). الإكليل ج١ ص ٢٨٣ .

وقال أيضاً: ص٣٠٢ منه: (وأولدَ هانئ بن خولان ـ مهموز ـ خمسة نفر: هلالاً، ويعلى، وعلياً، وسعداً، وجامعاً).

وقال أيضاً: ص ٣٠٥ منه: (وسألت ابن أبي الجعد عن الأزنوم من خولان فقال: بنو زنامة من ولد هانئ بن خولان، قال ويسنم من بني حمرة، والسهميون من البقْراء، وهي غير سهيم واهم، وشداد بطن، من آل أبي حجاش من اليهانية).

وأضاف في نفس الصفحة منه: (وسألت ابن أبي الجعد عن حفظه لنسب ولد هانئ، إذ كانوا ولد أبيه، فقال: أولد هانئ بن خولان: هلالاً، وزنامة، وبرقشياً، وعمراً، وحفاشاً).

قلت: هذا الأخير تصحيف لحجاش الآنف الذكر، المعدود في اليهانية، وقوله: (إذ كانوا ولد أبيه) يقصد أن ابن أبي الجعد من ولد هانئ، ولفظ (اليهانية) أعلاه أورده صاحب الإكليل في النسب لهانئ، ولم يلتفت لمقترحات صاحب "الاستقصاء" التي تكلفها ليجعل (هانئ بن خولان) مجرد حلف قبلي يضم عدة قبائل: كهلانية، وحميرية، وعدنانية قديمة، ولأنه أي مؤلف "الاستقصاء" لديه حساسية مفرطة تجاه خولان فإنه لا يقبل منك انتسابك إليها، فتحلف له بكل مقدس إنك خولاني فلا يقبل منك، وتقسم له إنك تنتمي إلى هانئ بن خولان فلا يستمع لك، وتبذل جَهدَ أيمانِك إنك من بني هلال بن هانئ بن خولان بن عامر فيصم أذنيه، ويصد عنك، ثم يتناول أدلتك ويعبث بها ويحيل حججك إلى رماد تذروه الرياح، ويسوم شواهدك سوء العذاب، على نحو لم يُسبق إليه من مُدَوِّنٍ عبر التاريخ وتأمله في معرض حديثه عن قبيلة آل عبدل التي أنتمي إليها وهو يقول: (والأغلبية من هذه القبيلة يقولون: إنهم يعودون من بني (هلال) وهذا ما يرويه كبار السن منهم، ويستشهدون ببعض القصائد الشعبية من شعرائهم القدامى، ومنهم الشاعر: يحيى بن محمد العبدلي رحمه الله، حيث قال:

يقول ابو علي زمل وبين سدّرَ * * * ما بين قوم العبدلي شيخ وعسكرَ

يذكر لنا موّل بقية من بني هلال)

ثم يقول بعد تمام الأبيات: (وأجدني أميل إلى هذه الرواية التي تدعمها بعض من أشعارهم، ومما يترجح عندي أنهم ينحدرون من أبناء هلال بن جشم من قبيلة مذحج والله أعلم). ج٤ ص٢٦١ ، ٢٦٢ .

قلتُ: هلال بن جشم المذحجي؟ ..، بالتأكيد إن ما يفعله الباحث هنا معاندة للنص بشهادة الإنس والجن، وقد سقتُ لكم أعلاه أربع اقتباسات متتالية من الإكليل لأبناء

هانئ بن خولان، فلم يسقط (هلال) من واحدة منها، وبقي أول من يُذكر في أبنائه، والشاعر يحيى بن محمد تفضّل على الباحث واختصر له المسافة إلى هانئ بقوله (يَذْكر لنا مَوَّلْ: بقية من بني هلال)، فهل سار مع النص أم ضده؟ وبدلا عن هلال بن جشم المذحجي يكون الصواب: هلال بن هانئ بن خولان بن عامر القضاعي، فالشاعر ينتسب إلى خولان وقال: (بلاد خولان بن عامر ملك بازلي) أي أرض آبائه وأجداده.

لقد استبشرتُ وأنا أقرأ مقدمة العبارة حين يقول: (وأجدني أميل إلى هذه الرواية ... حتى قال (هلال بن جشم من مذحج) فأُسقِطَ في يدي إذ يستحيل مناقشة من كان هذا تعامله مع النص الشعري والسرد الشفهي، وتأمله حيث يقول: (ومن الروايات الشفهية المستفيضة بين قبائل المنطقة التي يتناقلها كبار السن أن قبيلة بني هلال أيضاً استوطنت هذه المواضع ومنها وادي ضمد ووادي ثبا ونيد المقابير والقدة في زمن قديم ثم رحلوا ضمن من رحل . . إلى أن يقول: (ولعل إن صحت روايتهم يكونون من بني هلال المذحجية لا العامرية لوجود قبائل من فيفاء تنتسب إلى بني هلال إلى هذا التاريخ والله أعلم ). ج١ ص٥٠ .

قلتُ: فرواياتهم لا تكذب وهي من الصحة بما يكفي لتلقيها بوعي إنما قالوا: هم يرجعون نسباً إلى خولان بن عامر فهل أخذ الباحثُ حسن بن جابر الثويعي برواياتهم المستفيضة في هذا الصدد؟، الجواب: لا! .. ولو فعل لما استقدم الهلال المذحجي بمستندات لا تصح ليقيمه بديلاً عن هلال بن هانئ.

وقد ذكر الهمداني من بني هلال بن هانئ بن خولان أربعة هم: جماعة، وحذيفة، ومعاصماً، وحبيباً ـ بفتح الحاء ـ). وانظر التفصيل في ج١ ص٣٠٥ من الإكليل، فإن لم يجد صاحب "الاستقصاء" في قائمة اسمائهم: عمراً، وعبدالله، والحكم، وثابتاً، وشرحبيل،

وزنامة، وحرباً، حينها سيكون بيده ذريعة قوية لطلب (فِيَز) استقدام لعدد من المذاحجة لسد ثغرات النسب في قبائل فيفا اليهنوية الخولانية.

والباحث يخترع حججاً وبراهين على مذحجية فيفا تخالف المنقول والمعقول في سعي يغلب عليه الاستخفاف بالقارئ كما سيتبين لك من عبارته التالية معلقاً على الورم الجغرافي الذي قذف بحدود فيفا إلى سراة عبيدة في قحطان شمالاً وإلى مدينة ضمد غرباً، فقال: (وعلى هذا فلا أستبعد أن المشرَّق وجبل خيران، والعتمة، وروحان، وجبل غينة، والأماكن التي تقع جنوب قعيد، وغيرها من المواضع في تلك الجهة كان جزءً مما يسمى بفيفاء في الماضي.

ومما يغلب على الظن أن قبيلة (رهاء) التي رحلت من فيفاء زمن الفتوحات الإسلامية كانت تقع مواطنها في الجهة الجنوبية الغربية من حدود جبال فيفاء في الوقت الحاضر على امتداد المواضع المذكورة حتى جبل المشرّق). ج١ ص ٤٩ .

قلتُ: تاريخياً لم تنزل فيفا وإنما نزلت قرب تثليث وكان طريقها من نجران وعبارتيه (لا أستبعد)، و(مما يغلب على الظن) لا تعني أنه قدم برهاناً، فلأي شيء يُلزِم القارئ أن لا يستبعد ما لا يستبعده الباحث؟، ولأي شيء يُلزِم القارئ أن يَغْلُب على ظنه ما يُغَلِّبُ فيه الباحث ظنَّه؟ ولم يقدم دليلاً ولا أدنى من دليل، على أن أمة تعرف بـ (رُهاء) استوطنت فيفا ورحلت عنها زمن الفتوحات الإسلامية، فلا كشف أثري يفيد العلم، ولا ذريعة أيًّا كانت مادية أو جدلية، والتاريخ لا يُتَوَهَّم، فلا بد من وقائع وأحداث، ومنهجياً لا يقول الباحث (لا أستبعد) حتى يستنفد كل القرائن والحجج المنطقية التي توصل إليها، ولا يقول (ومما يغلب على الظن) حتى يعرض اكتشافاته أجمع وفتوحاته التي حققها فدفعته إلى تغليب الظن، لكن باحثنا يكتفي بهذه العبارات التي لا تغني من الحق شيئاً، متجاهلاً

أن تغيير الخارطة الجغرافية والاجتماعية لفيفا لا تأتي عبر (لا أستبعد) و(مما يغلب على الظن )، ولأجل التسليم بمذحجية فيفا يلزم الباحث أدنى قدر من البراهين التي يقبلها العقلاء، لا على الظنون التي تنافي العلم اليقين، وهو يكرر عبارة "الذين رحلوا من فيفا زمن الفتوحات الإسلامية" هذه أكاذيب، ثم يعتقد أنه قال حجة وساق بيّنة وهو أبعد الناس ـ في هذه العبارة تحديداً ـ عن الصواب.

وما زلت أحسنُ الظنَّ بباحثنا الكريم حسن بن جابر الثويعي الفيفي رغم تعمده ترميم النصوص المقتبسة بما ليس لأصحابها ومن أعجب ما وقفت عليه نقله عن الهمداني بلاد خولان وأوديتها بعد مقدمة من الثناء على صاحب صفة جزيرة العرب فانطلق قائلاً: (قال في الصفة [ يقصد الهمداني ].. ومدينة خولان العظمى صعدة). ج١ ص٢٩٢ ثم سرد بلاد خولان باختصار نقلاً عن الهمداني على امتداد الصفحات ٢٩٢و٢٩٣و٢٩٤و٢٩٥ إلى أن يقول: (فهذه بلد خولان قضاعة على حد الاختصار وأغوارها داخلة في تهامة من جنوب وادي ضمد حيث مساقط وادي خلب وتعشر ولية وحاضرتهم بلدة الخوبة من معالي خلب وتمتد ديار خولان في أعلى السراة إلى سراة جنب وفي نجدها يتصل ببلد وادعة). ج١ص٢٩٥.

قلتُ: يفترض أن النص السابق من كلام الحسن بن أحمد الهمداني منقولاً عن الصفة كما ذكر المؤلف إلا أنه ليس كذلك فكلام الهمداني ينتهي عند عبارة (داخلة في تهامة)، ثم رممه بكلام عاتق بن غيث البلادي الذي جاء: (من جنوب وادي ضمد حيث مساقط وادي خلب وتعشر ولية وحاضرتهم بلدة الخوبة من معالي خلب)، ثم ختمه بكلام الهمداني (وتمتد ديار خولان في أعلى السراة إلى سراة جنب وفي نجدها يتصل ببلد وادعة) والحاشية التي وضعها على كلمة تهامة دون أن يغلق النص لا تشفع له هذا الترميم

العجيب، ولا تمنحه البراءة تلك التي وضعها على كلمة خلب ومازال النص مفتوحا حتى انتهى كلام الهمداني بنقطة وحاشية في السطر الخامس من الصفحة المشار إليها، ثم في الهامش الأخير من الصفحة يثبت قائلاً (الهمداني: صفة جزيرة العرب).

والسؤال: هل كان كلام الهمداني بحاجة للترميم فلا يفتح المؤلف قوساً آخر؟ يقول فيه أما عاتق بين غيث البلادي فقال .. إلخ؟.

والداعي لهذا الترميم مرده التقوي بالعبارة التي دخلت أثناء النص وهي كلمة (من جنوب وادي ضمد) التي سيحملنا وزرها على امتداد "الاستقصاء".

لقد وجدت النص مختلفاً في آخره مطابقة مع الصفة، في حين تجاهلت الحواشي التي أرهق بها القارئ حيث كانت للتعريف بالأماكن التي سردها الهمداني، لكني التمحت عاتق بن غيث البلادي في الحاشية رقم٩، لأكتشف الترميم الذي جاء متوافقاً مع النص الأصلي المنتزع من الصفة من حيث البداية والنهاية لا من حيث السياق.

لقد قام المؤلف بترميمات كثيرة خلال الاستقصاء ولم أجدني شعرت بالاستغفال في أي واحد منها كما شعرت به هنا، هذا الإصرار العجيب وارتكاب ما يمكن أن يعد في التدليس كان لأجل الإتيان بمذحج ليقوم بدور الأب بدلا عن خولان، ولنفترض جدلاً أن باحثاً توصل إلى هذه الحقيقة أي أن فيفا والدها مذحج فمن الأنسب أن يسوق الباحث مثل هذه الحقيقة عبر لغة أكثر إنسانية وشفقة ورحمة، فهنا قوم عاشوا منذ الجاهلية الأولى يعتقدون بإيمان قاطع أن جدتهم الأولى ضرية بنت ربيعة بن نزار أم جدهم الأول لم تنم مع مذحجي وأنما رقدت مع عامر القضاعي، أقصد أن تُخفَّف عليهم الصدمة من قبل الباحث فيجعل الأمر يبدو منطقياً، نعم ذكر المؤلف في الإهداء أن أكثر أهل الجنة من مذحج وفي ذلك شيء من العزاء لكني لا أجده عزاء كافياً طالما كانت الجنة

لا تُنال إلا بالعمل لا بالنسب، عزاء ضعيف مقابل المرارة السرمدية التي تنتاب من يكتشف أن أباه ليس الذي يتصدر سلسلة نسبه.

(٥)

هذه الحلقة خصصتها لمناقشة أبرز الأدلة التي اتكأ عليها الباحث للقول بمذحجية فيفا، فقد استعرض أولاً أقوال المبرزين ممن تصدوا لنسب قبائل فيفا وهم:

١. الشيخ على بن قاسم سلمان الفيفي . . موضوع بحثه (تاريخ وأنساب فيفا).

٢. الدكتور سليمان بن قاسم سلمان الفيفي . . موضوع بحثه المخطوط (تاريخ فيفا).

٣. محمد بن فرحان محمد الفيفي . . موضوع بحثه المخطوط (تاريخ فيفا القرن الرابع عشر).

٤. حسن بن جابر الحكمي الفيفي . . موضع بحثه موسوعي ويشمل (تاريخ وأنساب فيفا).

هؤلاء كانت بحوثهم متخصصة في (فيفا)، جغرافية، وتاريخاً، ونسباً، ورغم التصاقهم بها ومعرفتهم بأنسابها إلا أن صاحب (الاستقصاء لتاريخ فيفاء) رد أقوالهم جميعاً، بشأن انتسابها إلى خولان قضاعة، ولا بأس أن يفعل ذلك فالأمر يحسمه الدليل والبرهان ومن حقه أن يفعل حين يضع يده على الأدلة التي تنسف أقوال من سبقوه حتى عصر التدوين، فذلك متاح لكل صاحب جهد وبذل وإخلاص، وبالتأكيد هناك أسماء مغيبة ممن تناولوا نسب قبائل فيفا لم يرد لهم ذكر في "الاستقصاء"، وبعد نقاش مستفيض مع الشيخ على بن قاسم الفيفي حول جغرافية بلاد خولان، ونسب عبس، اضطر المؤلف لاستخدام أدوات ممنوعة وارتكاب مخالفات استوجب معها اشهار الكارت الأحمر أثناء مناوراته من أجل الكسب لصالح مذحج، ـ أشرنا لذلك في الحلقة الرابعة ـ حين أضاف نصاً دخيلاً على أقوال الهمداني، واخترع كلاماً على لسان الدكتور جواد علي لم أتطرق إليه بعد ثم راح

يناقش ما تقوَّله، كل ذلك من أجل أن تكون الخريطة الجغرافية متفقة مع ما ذهب إليه.. والحجج والبراهين يجب أن تنهض بنفسها لا أن تكون في حاجة إلى مساعدة للوقوف، قوية بذاتها، حية نضرة، مضيئة، كما لا تحتاج إلى تدخلات وترميم وتقويل الناس ما لم يقولوا.

وحين أتم ذلك النقاش العجيب مع الشيخ علي استكمل استعراض بقية الأقوال في النسب وختمهم بـ:

١. عاتق بن غيث البلادي ... وموضوعه جغرافي (بين مكة واليمن).

٢. عمر بن غرامة العمري .... وموضوعه (قبائل عسير).

٣. علي بن جابر شامي ... وموضوعه (صبيا في التاريخ).

وكما نلاحظ من عناوين أوراقهم فهي لا تمس فيفا ولا تكاد، وكلهم في الحديث عن جغرافيتها وأنسابها حاطبوا ليل ولا يبلغ منتهى علمهم في ذلك معشار مما لواحد من أصحاب القائمة السابقة فضلاً عن الشيخ علي بن قاسم الفيفي وإحاطته وهو ابن بجدتها، مهما تعصبنا لهم، فقال المؤلف: (أما المؤرخ عاتق بن غيث البلادي فذهب إلى أن قبائل فيفاء تعود في أصولها إلى قبيلة (جنْب). ج١ ص٣٠٠ .

قلت رحم الله عاتقاً فهذه بعض تخليطاته عفا الله عنه. ثم يضيف: (أما الباحث والمؤرخ أبو سعيد عمر بن غرامة العمري، وكأنه ينسب هذه القبائل أو بعضها إلى (رُهاء) ويعد جبال فيفاء من مواطن مذحج عندما قال: إن قبيلة رهاء وهم بنو رهاء بن منبه ..... قد رحلوا من اليمن قبل الإسلام واستقروا في سراة جنبْ، وتعرف في زماننا هذا بسراة فيفاء) نفس المصدر.

قلتُ: كذب العمري وإنما تعرف سراة جنب في عصرنا الحاضر بـ (سراة عبيدة).

ثم يضيف قائلاً: (وقال الباحث علي بن جابر شامي عندما تحدث عن قبائل المنطقة وأصولها قال: سعد العشيرة من مذحج، وتمتد بطونها في المنازل التالية ــ في جبل فيفاء: قبيلة فيفاء من جنْب من مذحج وأحدهم فيفي ـ في سفوح جبل فيفاء الغربية في امتداد إلى السهل الساحلي ـ في الجبال المعترضة لأودية بيش وصبيا وضمد). ج١ ص٣٠١.

قلتُ: وهذا أكذب من سابقه وفيه مزيد من الغباء وجهل كثيف، فإذن هذه كل مستندات الباحث التي وضعها بين أيدينا وكانت نافذته على مذحجية فيفا نسباً، ولن أعرج على المستند الأخير وفقه صاحبه في الجغرافيا والأنساب (الله يسامح ويغفر).

وأعود للقول: بعد استعراضه للأدلة الخاطئة عند المجموعة الأولى، والأدلة الصائبة عند المجموعة الثانية؛ فتح العنوان التالي: (قبائل فيفاء وترجيح صحة نسبها إلى قبيلة مذحج)، وتحت هذا العنوان كتب يقول: (ولذلك فإني أجدني أميل إلى ما قاله المؤرخون الأخيرون عاتق بن غيث البلادي، وأبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، والباحث محمد بن جابر شامي، من أن قبائل فيفاء تعود من قبيلة مذحج المعروف (بمالك بن أدد)، وأرجح ما ذهبوا إليه من نسب هذه القبائل إلى مذحج، وقد أراني أجزم به لعدة أسباب) ج١ ص٣٠٢.

قلتُ: لم يقدم الثلاثة أي قرينة يُعْتَدُّ بها أو يُرْكَنُ إليها، بما فيها صاحب (قبيلة فيفا)!، لكن الباحث سيتولى مهمة التنقيب عن الأدلة التي يراها كافية لإثبات صحة أقوالهم، ولو رصدنا عباراته في المُقتَبسِ أعلاه لوجدناها تبدأ بقوله: أجدني (أميل)، ثم: (أرجح) ما ذهبوا إليه، ثم: قد (أجزم) به. هكذا (مال)، و(رجّح)، وكاد (يجزم) في سطر!!، والباحث هنا يكشف للجميع كم هو سلس القياد، مستسلماً، مذعناً، فلا يناقش أو يجادل، أو يتأمل، أو يقارن، كي يقنع المتابع بسلطته، وسيطرته، وحاكميته، ونفوذه، تجاه

قبول الحجة والبرهان، وسبر أغوار النص، واختبار الفكرة المنتقاة وتمحيصها، وغربلة وصهر ما يسوقه إلى قرائه، وبذلك يتجنب أن يجلب لهم الحشف وسوء الكيل، والباحث الذي ينوي شطب أبيه والانتساب لعمه ـ كما قال أبو سعد ـ لا يكون بهذا الضعف والاستسلام الذي مر بنا وهو يميل، ويرجح، ويهدد بالجزم، في ثوان لا غير، ثم بدأ الباحث يسرد (الأسباب) التي تؤكد صدق ما ذهب إليه الثلاثة من مذحجية قبائل فيفا، وكانت الباعث الذي ألح عليه بالميل ثم الترجيح فالجزم، ومن تلك الأسباب يقول: (أولاً: من المعروف في كتب التاريخ أن منطقة فيفاء هي من سراة جنْب، وما دام كذلك فلا شك أن سكانها من فروع أبناء مذحج). ج١ص٣٠٢ .

قلتُ: ليس من المعروف، وهذه الجملة تُعَدُّ في التغرير والاستغفال، مع التسليم بأن "من عَلِمَ حجة على من لم يعلم"، والمؤلف يقول: كتب التاريخ (بصيغة الجمع) بحيث أصبح ذلك أمراً مشهوراً معروفاً، وبالعودة إلى المحتوى الذي شمل خمسة أجزاء لم أعثر على أي نص تاريخي يشير إلى (أن فيفا من سراة (جنْب)، ولمن لا يعرف (سراة جنْب) فهي التي يطلق عليها اليوم (سراة عبيدة) فمتى كانت فيفا من سراة عبيدة؟ وتمنيت أن يكون المؤلف تلطف وأوردَ لنا هذه المعلومة الجغرافية العزيزة، ولو من كتاب تاريخي واحد على الأقل.

إما إن كان قد ذكرها ولم أهتد إليها فإني أناشدكم الله أن تدلوني عليها ـ لمن يقع الكتاب بحوزته ـ لأهميتها القصوى بحيث جعلها الباحث تتصدّر قائمة أدلته.

ولا أحد يحيلني للنصوص الثلاثة أعلاه فليست من مصادر التاريخ ولا الأنساب ولا الجغرافيا، في شيء ولا يرجع لها في أي شأن كمصدر يختص بفيفا، وهي لا تعرف موقعه من خريطة الأرض مهما تكلفنا الاجتهاد، ومن يأتي على ذكر فيفا عرضاً في ربع سطر عبر

مجلدين فلا يعد مصدراً لأخبارها، وأنسابها، وجغرافيتها، لأنه في الحقيقة لا يعلم عنها شيئاً، وليست موضوعه، وحتى يدلني القراء على ما نقله الباحث ـ عن كتب التاريخ على أن منطقة فيفا تقع في (سراة جنْب) ـ تبقى هذه الفقرة من قبيل التهويش والمزاعم الواهية التي لا تستند إلى برهان.

ثم يسوق الدليل التالي فقال: (ثانياً: عندما رحلت قبيلة (رهاء) المذحجية في العصر الجاهلي من جنوب اليمن تخطت قبائل خولان قضاعة حتى نزلت جنوب سراة جنب المعروفة في زمننا هذا بسراة فيفاء واستقرت هناك مع شقيقاتها من قبائل فيفاء المذحجية ووفد منهم وفد على النبي ﷺ ، مما يدل أن هذه المنطقة من ديار (مذحج) قبل أن تشرق شمس الإسلام بمئات السنين). ج٢ ص٣٠٣ .

قلتُ: (تنَهَّز) فخطوط سير الهجرات من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها لـ (رهاء) المذحجية ـ التي يترنم بها الباحث حتى بُح صوته ـ أو سواها إنما هي افتراض، واحتمال وتصور، يجيء في سياق الحديث عن موجوات الهجرة العربية من الجنوب للشمال، وحركتها، وتعاقبها، وليست حقيقة تاريخية يلزم التسليم بها، وتعقب مسالك الهجرة العربية من الجنوب إلى الشمال في العصور المبكرة ورصدها في الحل والترحال منذو لحظة انطلاقها حتى استقرارها في موطنها البديل بهذا التوصيف والدقة الخارقة أمراً مستحيلاً، ولا تتأتى إلا لشاهد عيان يسرد لنا قصة (رُهاء) وكأننا نتابع فيلماً سينمائياً من إخراج جيمس كاميرون.

ومن قرأ التاريخ عرف بالبداهة أن الاستدلال بمثل هذه الفرضيات التي لا يدعمها دليل إنما هو غاية الإفلاس، ومنتهى المحل والجدب، لا سيما من قبل باحث يتناول الأنساب بما تشكله من حساسية مفرطة في المجتمعات العربية.

وتحديد نقطة جغرافية بعينها أمر محير فعلاً فيكون النزول في (سراة جنْب) ولا يكون ذلك كافياً، بل يضيف (المعروفة في زماننا هذا بسراة فيفاء)، لاحظوا أن الباحث هنا يتحدث عن تاريخ العرب قبل الإسلام وهو لا يجهل المستندات التي يجب عليه أن يحضرها في معيته وهو يناقش هذه الحقبة الغابرة، لكنه لا يمتلكها إنها الأدلة الأثرية التي تفيد بمرور أمة تعرف بـ (رهاء) من هنا تحديداً، وحين يعجز عن توفيرها يلجأ إلى صناعة الأمكنة وابتكار الأسماء الجغرافية فجعل فيفا من جنوب سراة جنْب وهي ليست منه، نعم عند المشاحة تقع (جنب) إلى الشمال الغربي منه بفاصل يزيد عن ٧٠ ميلا في خط أفقي وتلك ديار جنب التي تسكنها قديماً (الحباب) و(الجحادر) و(سنحان) ثم قبائل (شريف) و(عبيدة ) و(بشر) وتعرف حاليا بـ (سراة عبيدة) ، أما (سراة فيفا) فهو اسم مستحدث طارئ لا يعرفه التاريخ ولا تقر به الجغرافيا، ومناقشة باحث له هذه الأساليب والابتكارات التي لا تخطر على بال أعتى المدلسين فأمر في غاية الصعوبة.

ثم طرح دليلا آخر فقال: (ثالثاً: من مواطن قبائل مذحج وادي (ضمد) والمناطق المطلة عليه من جهتي الجنوب والشمال التي هي لا تزال وإلى وقتنا الحاضر من مواطن قبائل فيفاء وبني مالك فيفاء وقبائل حريص، وما وداي ضمد إلا نسبة إلى أحد أجداد هذه القبائل وهو ضمد بن يزيد بن الحارث بن عُلّة). ج١ ص٣٠٤ .

قلتُ: لا وجود لهذا الضمد إلا عند الأكوع محقق الإكليل ولم أعثر عليه في الأنساب ولا التاريخ ولا الجغرافيا، وقد وضع المؤلف حاشية ذات الرقم (٢) نهاية العبارة أعلاه، وفي الهامش أحالنا إلى صفحة ٧٦ من صفة جزيرة العرب للهمداني وما عليكم أن تبحثوا عن هذه المعلومة هناك فإن لم تجدوها في متن الصفة فلا تندهشوا، وإنما تيقنوا أن الفأر قد سبقكم إليها فأكل ضمد بن يزيد بن الحارث، و هذه ليست المرة الأولى التي يحيل فيها

القارئ إلى متن كتاب يخلو من الإحالة تماماً ولا يفرق بين الإحالة للمتن وهوامش المحققين فيقع في المحذور غالبا، وسنرى لاحقا أمثلة كثيرة على ذلك، وعلى افتراض أننا عثرنا على ضمد بن يزيد ـ الذي لا وجود له ـ يظل ما ساقه هنا لا يصح الاستدلال به على أن فيفا تنتسب لمذحج حتى يلج الجمل في سم الخياط، ولأنه لا يستدل على الأنساب من أسماء الأمكنة والأعلام المشهورة، أو يستنبط من ضفاف الأودية، ومَنَاحِت السيول؛ لمن لم يعرف نسبه فكيف بمن ينتسب إلى خولان قضاعة منذ نشأته؟. وقد ساق الهمداني سلسلة أنساب سعد بن سعد بن خولان إلى أن قال: (ووَلَدَ داهكة بن الربيعة: عبدا والحويرث بطنان، ودارهم من أسافل ضمد إلى الخفوقة من أعلى بيش) الإكليل ج١ ص٢٦٥، وهذا الامتداد الجغرافي يناقض أقوال باحثنا الذي منح ضمداً لمذحج باردة مبرّدة، أما إضافته بني مالك إلى فيفا عند ذكرها فيأتي استغلالاً للعبارة التي تضاف للتفريق بين موالكة الطائف عن موالكة جازان، فأضافهم هنا من باب التَّكَثّر جغرافيا ولم يتورع أن يُفَصِّل لهم نسباً ولن يستطيع القارئ التكهن بهذا النسب الجديد الذي خلعه على بني مالك!! (؟؟؟) .... صح! (مذحج) كيف علمتم ذلك؟ .. نعم لقد نسبها إلى مذحج باعتبار أنهم يقعون في أحد رفيدة وفق الخريطة الجديدة لبلاد خولان، وكما فعل ببني مالك فعله ببلغازي فنسبها إلى (؟؟؟)... لا طبعاً لن أقول لكم هذه المرة!! .. فأنا أريدك أن (تحْتكون) أنتم!! لكنه لم يضفها إلى فيفا .. وفي الجملة لم يَعُد تحت أديم السماء إلا مذحجي.

وأختم هذه الحلقة بما كنت أشرت إليه في ردي على أحد الأخوة ضمن هامش الحلقة الثانية قال المؤلف: (وما هذان الحلفان القديمان المعروفان باليهنوي والفرودي إلا كغيرهما من الأحلاف القبلية التي عرفت بها القبائل التي انفصلت عن أماتها ودخلت

بالحلف مع قبيلة أخرى، وتسمت باسمها وانضوت تحت إمرتها وتحارب معها) ..... إلى أن يقول : (وهكذا حدث في قبائل فيفاء التي انضوت تحت حلف (اليهنوي)، فإنه مع مرور الزمن على هذا الحلف القديم نسيت هذه القبائل نسبها إلى أجدادها الأعلون من مذحج وأصبحوا ينتسبون إلى خولان قضاعة). ج١ ص ٣٢٢ .

قلتُ: إنا لله وإنا إليه راجعون! مع طول المدة نسيت نسبها الأصلي وانتسبت خطأ إلى خولان قضاعة!! وهنا اعتراف صريح من مؤلف الاستقصاء بخولانية قبائل فيفا نسبا لا حلفاً قال (أصبحوا ينتسبون إلى خولان قضاعة).. ولكن يا للأسف فقد كان عن طريق الخطأ بحسب الإلهام الذي تنزّل عليه، أو لنقل إنها بعض الكرامات طالما كان عريًّا عن أي دليل، وهو حين يدندن على مسألة الذهول والنسيان الذي اعتراهم فتاهوا عن جدهم الأصلي، فإنه يتناقض كثيراً مع ما قرره من قبل أثناء حشده الأدلة على مذحجية قبائل فيفا وسنعود لاستكمال نقاشها، إنما سبق أن قال (خامساً: وجود قبائل بفيفاء من الفروع الحديثة تنتسب إلى أجدادها الأعلون من قبيلة مذحج إلى هذا التاريخ). ج١ ص٣٠٥ .

قلتُ: لم ينتسبوا إليهم بشهادة الباحث أعلاه وإنما هو من نسبهم إلى غير آبائهم، أما هم فينتسبون إلى خولان من قضاعة، والمؤلف يعلل ذلك بالنسيان لتقادم العهد، أسألكم بالله هل لمحتم شيئاً مماثلاً كهذا من قبل؟!!.

(٦)

نكمل سوياً بحث الشواهد والأدلة والمرتكزات التي حملت الباحث إلى إقصاء نسب خولان عن قبائل فيفا، فساق الدليل التالي قائلاً: (رابعاً: من القبائل المذحجية التي عاشت في هذه المواطن من أعالي وادي ضمد قبيلتا ضمد، وصداء بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد). ج١ ص٣٠٥ .

قلتُ: ما بال وادي ضمد هذا؟ مرة لقبيلة صداء، وأخرى لقبائل جنْب، وثالثة لقبيلة ضمد بن يزيد؟ ولم يستقر الباحث على قول ومتى عثر على مذحجي ألقى به في وادي ضمد دون تريث، ولو سأله سائل عن الأدلة التي اتكأ عليها لأعياه الجواب، وصداء التي جعلها الباحث من وادي ضمد هم حلفاء بني الحارث بن كعب، من قبائل نجران، وكيف يمكن الجمع بين هذا التضاد والتنافر؟ والرجل حاطب ليل في جمع الأدلة، وهو هنا ينقل ما ظفر به من كتاب أُلّف عن قبائل عسير في الجاهلية والإسلام لعمر بن غرامة العمري ساق فيه الطوام وجعل نصف أعلام العرب بين محدثين، وحفاظ، ومصنفين، من رجالات عسير وأعلامها وقد توبع على ذلك من قبل النقاد وتم بيان أباطيله، والمدلس ينقل من مدلس آخر لا يعتد به ولا يلتفت إليه، ومذحج عند المؤرخين لا علاقة لها بضمد وجبل فيفا بل تفصلها عنها مسافات جغرافية شاسعة، وليس هناك مصدر تاريخي يجعل لمذحجي موطئ قدم في وادي ضمد.

ثم يستأنف الأدلة فقال: (خامساً: وجود قبائل بفيفاء من الفروع الحديثة تنتسب إلى أجدادها الأعلون من قبيلة مذحج إلى هذا التاريخ منهم الآتي: ١ـ آل سلمان: بنو سلمان بن علي بن مراد ). ج١ ص٣٠٥ .

قلتُ: ليس صحيحاً ما ذكره المؤلف هنا في مسألة الانتساب لمذحج، وإنما الباحث آية في جهل المختلف والمؤتلف ولديه جرأة على الكذب غير مسبوقة فقال ينتسبون إلى يومنا هذا إلى جد مذحجي هو (ساب عليٍ) سلمان بن علي، ولم يقل المشهور هو: سلمان بن .. (فرحان) بن .. مغامر بن ... عبيد بن (أحمد) .. بن هانئ بن خولان بن عامر بن الحافي ... بن قضاعة ..بن حِمْيَرْ .. ، وبعد إيراده النسب بكل أمانة وحيادية يأتي إلى ذكر ما ترجح لديه، وإن خفي عليه فليسأل القوم عن نسبهم وسيخبرونه بما علموا، وذلك أقل ضرراً من نسبهم إلى جدلاً وجود له في خولان أو (مذحج). ومضى المؤلف قائلاً : ٢ـ (قبيلة آل بالحكم (حكامية السراة) وهم بنو الحكم بن سعد العشيرة) نفس المصدر.

قلتُ: هذا كلام لا أصل له، وتدليس عريض فقوله: (حكامية السراة) نعت اخترعه من عنده حتى يقابله بـ (حكامية تهامة) وهذا يسمى الكذب والوضع، والخرفعة، و(حكامية السراة) فرية تسير على قدمين، وهو لا يعلم بالمؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب فيأتي بـ أبي بكر بن الخطاب!، إلى جانب عمر بن أبي قحافة!، ولا يلتفت أبداً، والمعروف أن هذا (الحكم) من خولان، وهو غير (حكم) سعد العشيرة المذحجي، والتشابه في الأسماء لا يحملنا على خلط الأوراق وابتكار الأنساب تماماً كما أن (عبدلي) فيفا غير (عبدلي) الحجاز، وكان يتوجب على الباحث أن يسوق نسبهم بحسب ما وصل إليه وهو: حكم بن.... حِجْرٍ بن.... عطاء بن أحمد بن... (هلال) بن هانئ بن خولان بن عامر بن الحافي بن... قضاعة بن... حِمْيَر . ثم يقول بعد ذلك: هذا هو نسب قبيلة بني حكم في فيفا الذي يعرفونه، ويعرفه غيرهم من أبناء عمومتهم من ولد عطاء، ولهذا عندما هاجرت إحدى العشائر الحكمية من فيفا لم تلتحق بمذحج وإنما التحقت بخولان ويعرفون بأهل (امدوشة) في جبال منبه وقد أصبحوا اليوم قبيلة كبيرة، ثم يتوجب على

الباحث أن يورد ما ترجح لديه بالأدلة والقرائن بعد فحصها ونقدها وتشريحها وينسبهم إلى من شاء سواءً إلى الحكم بن بَهْراء، أو الحكم بن سعد العشيرة أو الحكم بن حِجْر الخولاني، أو الحكم بن عتيبة، أو الحكم بن نمير، وهكذا تكون الأمانة العلمية ودقة الباحث الذي يدرك أبعاد عمله، ويتورع عن التدليس وهو مالم يفعله صاحب الاستقصاء بل انطلق يعبث ويخلط الأنساب والجغرافيا والتاريخ ليخرج للناس تغريبة أخرى لبني هلال كلها أساطير لا تتكئ على منهجية علمية.

ثم استأنف الأدلة فقال: (٣ـ آل امحرب: نسبة إلى حرب بن منبه ... وكذلك قبيلة الأيتام وقبيلة أهل مدر (هكذا) ... يقال أن أصلهم آل الصلت من نجران نسبة إلى الصلت بن معاوية بن عمرو بن معاوية الجنبي المذحجي). ج١ ص ٣٠٦ و٣٠٧ .

قلتُ: عبارة يقال أنهم من نجران للإيهام فقط، وهم أدرى، ولم يقولوا، وإنما غيرهم من قال، واسم حرب في القبائل العربية كثير وفي خولان حرب حين يقولون بخولانيتهم، أما حرب والأيتام والمدري وهم الصلت فيعودون لحجر بن عطا بن أحمد (حمد) بن ...(هلال) بن ... هانئ بن خولان بن عامر قال الشاعر يحيى بن محمد (حوالي ١٢٦٥ه ـ ١٣٤٧هـ تقريباً):

ربوع امكدرة تطلع بالاركان

وها لاربع قبايل

وعد آل (امصلت) يا زرب الاطراف

وداعيها العطاوي

واقتحام الانساب بهذه الصلافة لمجرد تشابه الأسماء لا يبرره البحث العلمي حين يلقي بالمنهجية وراء ظهره .. وإنما هي العبثية والغوغائية فلا علم هنا ولا بحث حتى يقول

بأنهم ينتسبون إلى جد مذحجي .. سأسأله هذا السؤال فإن أجاب عليه فالرجل صاحب مقاصد حسنة، وباحث عن الحق ولن يجيب.

والسؤال: من هو الذي أخبرك من قبيلة (آل امحرب) بفيفا أنهم ينتسبون إلى (حرب بن منبه المذحجي)؟.

سنفترض أن الباحث أجابنا على هذا السؤال فقال:

في الحقيقة لم أسأل أحداً منهم، ولم يذكر لي أحدٌ من قبيلة آل امحرب بفيفا شيئاً عن نسبهم المذحجي وإنما قلت ذلك اجتهاداً مني لموافقة الاسم في جدهم لاسم (حرب بن منبه).

عندها سنسأله السؤال: فلماذا جزمت أنهم ينتسبون إلى هذا الجد المذحجي؟ فإن قال: لا أقصد من عبارة (ينتسبون) إلا ما كان من تشابه في اسم الجد .. حينها نقول: لم تكن دقيقاً ولا أميناً في نقل الواقع وارتكبت مخالفة تعد في قائمة الكذب والتدليس وهي من أقوى الأوصاف القادحة عند أهلم العلم.

لكن ماذا لو جاء الرجل وأخبرنا باسم أحد المعمرين من هذه القبيلة وقال: الذي نقل لي أنهم ينتسبون إلى (حرب بن منبه المذحجي) هو فلان بن فلان الحربي الفيفي، عندها سيكون سقط عنه حكم الكذب والتدليس، ويبقى عليه حكم الإهمال وعدم الدقة في ذكر مصادره من النسابين الذين اعتمد على رواياتهم في هذه القبيلة وغيرها حينما انتسبوا لجدود مذحجية.

ثم يمضي الباحث في سرد الأدلة قائلاً: (٤ـ ومن قبائل فيفاء التي لا تزال تنتسب إلى جدها الأعلى إلى وقتنا الحاضر قبيلة آل شراحيل ... من أبناء شراحيل مذحج). ج١ ص٣٠٨ .

قلتُ: هكذا لا يتورع عن الوقوع في الكذب الصريح فقوله: لا تزال تنتسب إلى جدها المذحجي كذب ومين وافتراء كسابقاتها من القبائل التي زعم انتسابها لمذحج فيما مر بنا، ولو قال: تنتسب لجد اسمه شراحيل لم يجزم أحدٌ من نسابهم بخولانيته أو مذحجيته مثلاً، والصواب أنه المذحجي فلان بن فلان .. ثم يسوق النسب الذي ثبت صوابه لقبيلة آل شراحيل وهم مخيرون بين القبول والرفض وفقاً للأدلة والقرائن التي يسوقها، أما قوله تنتسب لمذحج إلى يومنا هذا فليس صحيحاً، ودليله على نسبة آل شراحيل لمذحج أوهى من خيط العنكبوت فالتشابه في الأسماء ليس دليلاً على أن هذه الأمة تنتمي لتلك، والعرب تسمي بالاسم الواحد عشرات الآلاف من الأشخاص فلا يكون عمرو في آل عبدل هو نفسه عمرو الذي في آل شراحيل، ولا حسن بن جابر الذي عند (آل الثويع) هو حسن بن جابر ذاته الذي عند (آل بني الحكم) وإنما تشابه أسماء ليس إلا.

ويستأنف الباحث في استعراض البراهين قائلاً: (٥- البيتين: من أبناء عمر بن عوثبان بن زاهر بن مراد بن مذحج وهم العُمريين، وكان يطلق عليهم عمر الجبل، والدفريين ويعرفون بعمر السهل، وآل ظلمة. [هكذا]! ، وربما أنهم خليط من قبيلة (رُهاء) التي رحلت من فيفاء زمن الفتوحات). نفس المصدر ص ١٠٨، ص ١٠٩.

قلتُ: لا (رهاء) ولا رحيل زمن الفتوحات، ولا ما يحزنون، وإنما يروج هنا لفرضيات كاسدة لا تستند إلى أدلّة على الإطلاق، وكنت أتمنى حضوره ليكون الحوار متكافئاً لكن حجته أوهى من بيت العنكبوت ففضل الغياب على اعتبار (وجهٍ مغيِّب ما تَلحقو ملامهْ) وعوثبان المذكور ليس له من الأبناء عند النسابين إلا عامرا وعَمْراً، و(العُمَري) نسبة إلى جد اسمه (عُمَرُ) لا (عَمْراً) وقد توهم الباحث أنه ظفر ببغيته لدى عوثبان المذحجي،

ولن يكون النسب إلى (عمرو) إلا (العَمْري) أما النسبة إلى هذه القبيلة في فيفا فهي (العُمَري)، وهو لا يعلم مقصد شاعرهم محمد بن جبران الظلمي حينما قال:

(خولان) وا (قحطان) لاعةْ * * * مقد توافقنا فطاعةْ

ولا مسدّة في طريق

انظر باقة من تراث فيفا ص٩٨ لمؤلفه الشيخ على بن قاسم الفيفي.

ولا أدري ماذا سيكون ردة فعله لو كان حياً ونمي إلى علمه أن أحداً ينسبه لقحطان لاعة؟!! .. وما هذا التكلف والفذلكة والوضع والاختراع في أنساب قبائل فيفا إلا لأجل أن ينسبها الباحث إلى مذحج. راجع ـ للتحقق من أبناء عوثبان ـ نسب مذحج كتاب (نسب معد واليمن الكبير) لمحمد بن السائب الكلبي.

ويستأنف الباحث في حشد شواهده على مذحجية قبائل فيفا فيقول: (سادساً: وجود أماكن من مواطن هذه القبائل فيفاء [الصواب بفيفا] تنسب أسماءها إلى فروع من قبيلة مذحج إلى هذا التاريخ ومنه على سبيل المثال لا الحصر الآتي:

أ ـ وادي ضمد: نسبة إلى ضمد بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج.

ب ـ العبسية: نسبة إلى عبس بن مراد.

ج ـ جبل مراد: نسبة إلى مراد بن مزحج.

د ـ وادي مراد: نسبة إلى مراد بن مذحج.

هـ ـ وادي شكر: نسبة إلى شكر بن ناجية بن مراد.

و ـ وادي جذيمة: نسبة إلى أحد أبناء علة بن جلد بن مذحج، ولعله جذيمة بن سليم بن رهاء بن منبه بن حرب بن علة ابن جلد، وربما نسبة إلى جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن علة بن جلد، والله أعلم.

ز ـ وادي عوف: نسبة إلى عوف بن حريم بن جعفي بن سعد العشيرة من مذحج، وربما نسبة إلى عوف بن المعتص بن حبيب، وهو عند الأشعري: عوف بن حبيب بن غُن، الذي من سلالته (حِجِر) الذي تنتسب إليه عدة قبائل من فيفاء، والتي من ديارها جبل حِجِر، والله أعلم). ج١ ص٣٠٩.

قلتُ: ضمد بن يزيد من أوهام الأكوع محقق الإكليل ولا أصل له وقد ولد هذا الضمد على يدي أحد المصحفين المتأخرين فلم يكن موجوداً على خريطة المعرفة الإنسانية حتى سنة ١٢٠٥للهجرة، وليس هناك جد جاهلي أطلق اسمه على أي من الأودية المشهورة سوى حرض بن خولان.

ولو افترضنا جدلاً أن أحد الباحثين جاء ليرد على المؤلف ونسب مواضع في فيفا إلى أبناء قضاعة في معرض الاستدلال على قضاعيتها فقال:

أـ العبسية [قمة جبل فيفا] نسبة إلى عبس بن خولان بن عمر بن الحاف بن قضاعة.

ب ـ وجنيب امْسَوَدْ، وحبيل آل مسود [غرب وادي الحلط، وشمال غرب الحكميين] نسبة إلى: سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.

ج ـ واللَّوذ [غرب جبل آل عبدل] نسبة إلى: لوذ بن الحاف بن قضاعة.

د ـ وحيدان [في بقعة العذر] نسبة إلى: حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ه ـ ومقرع [في جبل المشنوي] نسبة إلى: الأقرع بن مجيد بن عمرو بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

و ـ والمشعبة [في ذبوب شرق فيفا] نسبة إلى: شعب بن حي بن خولان بن عمرو بن قضاعة.

ز ـ والرثيد [في بقعة آل المخسافية] نسبة: إلى مرثد بن حي بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ح ـ ووادي الحجوري [من أودية فيفا الشرقية] نسبة الى حجر بن الربيعة بن سعد بن خولان بن عمرو بن قضاعة أو ربما إلى حجور بن خولان . . والله أعلم.

ط ـ والهميس [من قرى شرق فيفا] نسبة إلى هماس بن حجر بن مالك بن الربيعة بن سعد بن خولان بن عمرو بن قضاعة.

ي ـ والموبرة [عدة بيوت وحصون] نسبة إلى وبر بن زيد بن أرطأة بن شرحبيل بن حجر بن الربيعة بن سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ك ـ والعرام [موضع وبيت غرب العمريين وشرقها بفيفا] نسبة: إلى عرام بن الأصحر بن أسامة بن زيد بن أرطأة بن شرحبيل بن حجر بن الربيعة بن سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ل ـ ووادي الكرمة [من أودية فيفا الشمالية] نسبة إلى: كرمة بنت جرير بن حجر بن سعد بن عمرو من بني سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

م ـ وعِلْيُ المسلم [من قصبات فيفا الشرقية في جبل العمريين] نسبة إلى المسلم بن عباد بن محمد بن كثير بن جرير بن حجر بن عمرو من بني سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ن ـ ووادي آل غالب [واد خصيب به مناهل وعيون غرب فيفا] نسبة إلى: غالب بن مكروه بن الأصبغ بن شهر بن الأصبغ الأكبر بن حجر من بني سعد بن خولان بن عمرو بن قضاعة .

س ـ والفاحش [من قرى شرق نيد الضالع] نسبة إلى: الفاحش بن حرب بن سعد بن سعد بن خولان بن عمرو بن قضاعة.

ع ـ وحاذر [من قرى فيفا الشهيرة في شمالها] نسبة إلى: حاذر بن صحار بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .. وبالمناسبة فمن أبناء صحار عامراً الذي مواطن أبنائه ما بين دفا إلى نجد قيوان إلى سراة جنب إلى بيش.

ف ـ وحبيل العباد [يقع أسفل الجبل غرباً] نسبة إلى: عباد بن باقر بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ص ـ ووادي امعرف [من أودية غرب فيفاء الشهيرة] نسبة الى معرف بن عبدالله بن ناشر بن جماعة بن هلال بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ق ــ ولحج المعاستم [من لحوج المشنضبة الواسعة] نسبة الى معاصم بن حبيب بن هلال بن هانئ بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ر ـ ومعْشَم [غرب جبل فيفا] نسبة إلى: أعشم بن الحاف بن قضاعة.

ش ـ ووادي شكر [من أودية فيفا] نسبة إلى: شكر بن الأخضوض بن الأزمع بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

قلتُ: وهذا فقط عن الأمكنة فماذا عن أسماء القبائل والبطون والعشائر؟، ولنفترض جدلاً أن باحثاً جاء فسرد هذه القائمة للتأكيد على خولانية فيفا، فما الذي يجب فعله؟ .. إن رأيتم باحثاً يفعل ذلك لزمكم أن ( تُوَسّرُونو بعتبة سِفْلِنْ، وتبَهّمُونو) لأنه سيؤذي نفسه ومن حوله طالما كان هذا فعله بعد إن أصبح معدوداً فيمن رفع عنهم القلم.

(٧)

نماذج لمنهجية الباحث في التَّذحيج:

أولاً: النقل عن نص ظاهره الفساد.

قلت لكم في الحلقة الخامسة إن الأدلة التي اتكأ عليها المؤلف لتذحيج قبائل فيفا فاسدة وأشرت للنصوص الثلاثة التي استلها الباحث من مؤلفات سائمة وزعم أنها تنتمي للتاريخ والأنساب، وقلتُ:

فليست من مصادر التاريخ ولا الأنساب ولا الجغرافيا في شيء، ولا يرجع لها في أي شأن كمصدر يختص بفيفا، وهي لا تعرف موقعه من خريطة الأرض مهما تكلفنا الاجتهاد، ومن يأتي على ذكر فيفا عرضاً في ربع سطر عبر مجلدين فلا يعد مصدراً لأخبارها، وأنسابها، وجغرافيتها، لأنه في الحقيقة لا يعلم عنها شيئاً، وليست موضوعه. انظر الحلقة الخامسة من هذه السلسلة.

وقد سمعنا الباحث وهو يقول:

(ولذلك فإني أجدني أميل إلى ما قاله المؤرخون الأخيرون عاتق بن غيث البلادي، وأبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، والباحث محمد بن جابر شامي، من أن قبائل فيفاء تعود من قبيلة مذحج المعروف (بمالك بن أدد)، وأرجح ما ذهبوا إليه من نسب هذه القبائل إلى مذحج، وقد أراني أجزم به لعدة أسباب). ج١ص٣٠٢ .

قلتُ: البلادي يعد في البلدانيين المعاصرين رحمه الله، إلا أن الباحث ينعت الثلاثة بالمؤرخين إمعاناً في تسمية الأشياء بغير أسمائها.

إنما كان العمروي ناقلاً عن البلادي، وجابر شامي ناقل عن البلادي والباحث ينقل عنهما النص بتصرف ليبدو الأمر وكأنها عبارة مختلفة، ثم متى انضما إلى قائمة المؤرخين ..لا إله إلا الله .. فإذن ليس هناك إلا نصاً واحداً يقول بمذحجية قبائل فيفا تم نقله عن البلادي من كتابه (بين مكة واليمن)، واليوم سنعرض له سوياً بالقراءة والمناقشة، وقد مر بكم كيف مال، ورجح، وجزم، في ثلاث ثوان لا غير، فقال: (ولذلك فإني أجدني أميل إلى ما قاله المؤرخون الأخيرون عاتق بن غيث البلادي، وأبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، والباحث محمد بن جابر شامي، من أن قبائل فيفاء تعود من قبيلة مذحج المعروف ( بمالك بن أدد)، وأرجح ما ذهبوا إليه من نسب هذه القبائل إلى مذحج، وقد أراني أجزم به لعدة أسباب). ج١ص٣٠٢ .

وهذا مستند الباحث، قال عاتق بن غيث البلادي عفا الله عنه: (فيفا: اسم قبيلة كبيرة من جنب، سكنوا جبلاً شاهقاً خصباً كثير القرى والمزارع والمياه ويقع شرق صبيا وهو أدنى السراة الى الساحل، فسمي جبل فيفا، كما قيل: وادي حرض، وحرة كنانه، وجبل عسير، إلخ) وأضاف قائلاً: (ولهم سحنة خاصة يعرفون بها، ولهم لهجة تختلف عمن حولهم ولكنها لا تختلف كثيراً عن لهجات قبائل جنب الأخرى.. ومن فروعهم:

١ـ امعمامي ( العمامي) واحدهم عَمّي.

٢ـ امجشم (الجشم) واحدهم جشمي.

٣ـ امداثر (داثر) داثري.

٤ـ امجافي (الجافي).

٥ـ آل المدري.

٦ـ بلحكم (بنو الحكم).

٧ـ آل متعب.

٨ـ بنو شراحيل: هم وشراحيل الحرث من بعض كذا قالوا. قلتُ: [وقد سبق أن نسبهم إلى خولان].

٩ ـ آل الظلمي.

١٠ـ آل سلمان.

١١ـ آل أمتويع (آل التوي).

١٢ ـ آل عمر.

١٣ ـ امتيب (التيب).

١٤ ـ الأبيات.

١٥ـ الأشراف.

١٦ الحرابية.

والفيافية يقولون أن بلغازي فرع من فيفا). بين مكة واليمن ص٢٩٤ و ٢٩٥.

قلتُ: فهذا هو النص الذي اقتطفه الباحث من أوله دون أن يشير لتاليه طالما كانت بغيته تتوقف عند التذحيج بقبائل فيفا الخولانية؛ فعززه، ونصره، ووقّره، ودافع عنه ما وسعه الدفاع، ولم ينقده، أو ينبه على أغلاط صاحبه وأوهامه، بل رجحه، ومال إليه، وكاد أن يجزم به، وكان أحرى بصاحب الاستقصاء أن يحسن اختيار مصادره التي يمكن النقل عنها والتعويل عليها، والاستئناس بمحتواها، كالرسائل العلمية، والبحوث المُحَكّمَة، والمصادر التي خضعت للتحقيق من أرباب التخصص، فما كل مصنَّف يصلح كمرجع أو مصدر وجلها بين النطيحة، والمتردية، والموقوذة، وما أكل السبع، ولننظر هنا ما الذي سيسلم له من هذا النص؟ . . .

قول عاتق بن غيث البلادي يرحمه الله: إن (فيفا اسم قبيلة كبيرة)، وهمٌ، وزلة، فليس صحيحاً أن فيفا اسم يطلق على قبيلة، وإنما يطلق على جبل شاهق يقع إلى الشرق من مدينة صبيا في نهاية خط مستقيم طوله (٣٠) ميلاً تقريباً .. وتسكنه عدة قبائل تنحدر من هانئ بن خولان بن عامر، وقوله: فسمي جبل فيفا كما نقول: وادي حرض، وحرة كنانة، وجبل عسير.

فأقول: هذا لا يصح وهو قياس فاسد فتلك قبائل، وهذا اسم جبل، أما عسير فالمشهور أنها سلسلة جبلية شديدة الانحدار عسيرة المرتقى، فأُسقط الموصوف ونُسِبَتْ قبائله إلى النعت .. فقيل العسيري .. تماماً كما نفول القَهَري، فالقهر صفة للجبل وهي الصخور العملاقة واحدها قهرة، في لسان عرب الجنوب، وهي (الصفاة) فيُسقط الموصوف وينعت إلى الصفة ويقال ناجي القهري [من شعراء خولان الشعبيين المعاصرين]، لكن نسبته إلى (امقهرة) وهو حيد صخري يقع جنوب بني خولي، وقبائل فيفا تنتمي (للمكان)، كما يقال قبائل بيشة، أو قبائل الطائف، ويضافون إليه فيقال قبائل فيفا واحدهم الفيفي؛ كالصنعاني، والمكي، والدمشقي، والصعدي ... إلخ .. وبديهي أنها إضافة للمكان لا للجد فليس في مذحج جدة اسمها فيفا ولا جد بها الاسم، وإنما هي أوهام البلادي ليس إلا.

وقوله: (لهم سنحات خاصة يعرفون بها) في منتهى الغرابة، ووصف من لم يرهم، وكيف يمكن تطبيق ما قاله على أرض الواقع؟ ذلك محال، وبالتأكيد أبناء فيفا كغيرهم من سكان الجبال في عموم جزيرة العرب لا يختلفون عنهم وإنما البلادي نُقِلَ له؛ ولم يشاهد ولم يتحقق من صحة وسلامة عبارته.

أما الفروع فقد ساقها بشكل عجيب ينم عن جهل شديد تجاوز الجغرافيا إلى النسب، فزاد فيها ونقص، وأورد من لا يُعرف ومن لم يُسمع عنه أمثال النسبة إلى العِمِّي، أو من الفروع كجشم، والجافي، والتيب، والحرابية، كل هذا التخليط يؤكد جهله بفيفا جغرافياً ونسباً وكأنك تقرأ عن فيفا غير التي نعرفها.

وختم بالقول: إن فيفا (تدعي أنّ بلغازي منها)، وهذا ليس صواباً، بل الصحيح أن فيفا وبلغازي تعودان نسباً إلى خولان بن عامر ولكن جهل المؤلف أوقعه في هذه التناقضات التي لا تستقيم مع الواقع المسلم به.

هذا النص اليتيم الذي نقلناه هنا بتمامه ودون تجزئة هو كل ما زعم بأنه قد نقله عن المؤرخين وكان غاية بذله وجهده الجهيد!.

وخلاصة القول فلا يصح أن يكون ما سبق مصدراً أو مرجعاً تاريخياً وجغرافياً لفيفا وأنسابها.

فعيوبه ظاهرة لكل ذي عينين، لكنه المنهج المختل الذي اعتمده الباحث لتذحيج قبائل فيفا اليهنوية الخولانية، فتعلق بأهداب نص سقيم، متضارب، واهٍ، متهالك، لا يصح الأخذ به والتعويل عليه، فينسب قبائل فيفا الخولانية إلى جرفٍ، أو أكمة، أو جدّةٍ اندثر خبرها وتلاشى ذكرها وتبددت أقوامها، وانتبذوا النسبة إليها، ليختصم فيهم التاريخ والجغرافيا والأنساب.

ثانياً: عدم إحاطته بالمختلف والمؤتلف ذهب الباحث ـ كما مر بنا ـ ينبش أسماء مذحج وكلما عثر فيهم على علم يتفق اسمه مع جد قبيلة خولانية نسبها إليه فوراً، بل تعدى ذلك إلى الأمكنة فاجتهد في نسبتها إلى أعلام مذحجية، فجاء في ذلك بما لم يسبق إليه وكأن الأسماء العربية حكراً على قبيلة دون سواها فلا هلال إلا في مذحج، ولا شراحيل، ولا

حرب، ولا الصلت، والحكم، وحين توهم الباحث أنه يعود لمذحج، ولم تسفعه معارفه الصرفية في اسم (ثويع)، وهل النسبة إليه (الثويعي) أم (الثوعي)؟ .. رجح عنده ـ وهو صاحب ترجيحات فاسدة بل أشد فساداً ـ إن (ثويع) ما هو إلا ذلك الذي عند مذحج ومن هنا سارع إلى تذحيج قبيلته الخولانية القضاعية الحِمْيَرِيَّة أصحاب تاج العرب لآلاف السنين، ورحمة بالقارئ الكريم آثرت عدم نقل ما ذكره عن نسب قبيلتة آل الثويع، الذي تراوح بين عدنان وقحطان، وفي الحلقة الماضية عرضنا لبعض أدلته في تذحيج قبائل فيفا الخولانية.

ثالثاً: تهافت فرضياته وشذوذ استنتاجاته تحت عنوان (الفرع الأول من فروع القسم الأول آل عبيد).

قال المؤلف: (وهذا الفرع خليط من عدة فروع من أبناء جلد بن مذحج، ومراد بن مذحج وخولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج، ومن القبائل العدنانية ومنهم الأشراف بفيفا. ولا تخلو بعض من قبائل فيفاء بصفة عامة من نقائل من أبناء خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة الذين ذابوا بينهم ومع مرور الزمن انتسبوا إليهم). ج٢ ص٩

قلتُ: (خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج) سيلزمكم أمة تنقضي قبل العثور على هذا الخولان، وإنما ورد نص في الإكليل هذا هو (وتقول خولان إن عمرو بن سعد أخا حجر هاجر الى النبي ﷺ ، وهو عم يزيد بن حجر بن ...) وكان سبباً في وهم من نقله من النسخة المخطوطة فانظر العبارة : (خولان إن عمرو بن سعد أخا حج..ر) فقرأها المصحفون ( خولان (إ) = ب ن عمرو بن سعد أخا (مذ) حج ...ر ) فلم يتنبه طالما كان منهجه في التَّذحيج يدعوه دائماً إلى قبول الأخبار دون فرز أو تمحيص فقرر إن قبائل فيفا مذحجية إنما توجد بين بعضها نقائل من خولان قضاعة، هكذا [في البعض وليس في

الكل]!!، هذه النقائل الخولانية كانت سبباً في إذابة القبائل المذحجية الرئيسية، للتتلاشى وتضمحل ثم تنسى أصلها وجذورها وتنتسب أخيراً إلى خولان بن عامر!! . والنقيلة كما نعرف هي أسرة تلجأ إلى قبيلة كبيرة لأسباب عدة، وإنما هي المجازفة التي تتحطم على تخومها السنن الكونية ويتبدد المنطق والعقل ويصبح هباء تذروه الرياح، لقد عجز تماماً أن يقدح في انتساب قبائل فيفا إلى خولان بن عامر، فلجأ إلى هجاء مذحج على هذا النحو الذي تنهمر له عبرات أعدائهم .. ووصفهم بالذهول عن أصلهم ومحتدهم وجذورهم واضمحلوا في نقائل خولانية [بحسب وصفه].

قلتُ: فالعرب تُعنى بأنساب حيواناتها فكيف بأنسابها؟ .. وتلك الأقوام السائمة التي هجاها الباحث بشكل مقذع، لا يمكن أن يكونوا أبناء عمومتنا قحطان الغلباء، وحاشاهم عن هذا الهجاء، ولا نرتضي لأحد أن يصورهم على هذا النحو الكاريكاتوري من الكَلَحَان والخجامة الظاهرة والفلتَان مهما كانت ذرائعه.

٢ـ تحت عنوان (قبيلة آل مشني التي تعرف الآن بآل مّشنية) قال المؤلف:

(قبيلة آل مّشنية هي إحدى قبائل آل حجر بالحلف ويترجح عندي والله أعلم إنها تعود في الأصل من إلى مشني من أبناء الصلت بن الحارث بن معاوية الخير الجنبي بن عمرو...) إلى أن يقول (ولكنها انفصلت عنهم في زمن غير معروف وتحالفت مع آل حجر من آل عطاء كما تفعل كثير من قبائل العرب. ومع مرور الزمن تطورت كلمة اللقب من آل مشني إلى آل مشنية مثل آل ثوعة الذين يعرفون الآن بآل الثويع، وآل الإمامي الذين يعرفون الآن بآل العمامي والله أعلم). ج٤ ص١٦٩ .

قلتُ: استنتاج غريب فعلاً، ولا يعد تطوراً بل تقهقراً! ولو اطلع قارئ من خارج فيفا على ما قاله الباحث هنا لربما خفي عليه أن الباحث كان يريد الوصول إلى جد مذحجي

بغض النظر عن منطقية ما يسوقه، طالما كان منهجه تذحيج كل شيء يمر به في طريقه فلم يستثن حجراً أو بشراً، أو شاخصاً جغرافياً، أو وادياً، أو لحجاً، أو ساقية، إلا وخلع عليهم جبة التذحيج.

ولو اكتفى بالمشهور والمعروف لكان أولى، فيقول إنهم ينتسبون إلى أمهم (امشْنِيَة)، وهذا ما درجت عليه كثير من القبائل العربية العريقة في انتسابها إلى أمهاتها على مر العصور.

والأصل أنها إحدى قبائل الحجري ومنهم عاس ولد عطا في إحدى وثائق تأسيس سوق فيفا بداية القرن الثاني عشر.

(٨)

نماذج لمنهج الباحث في التَّذحيج.

رابعاً: مصادمة الحقائق التاريخية والجغرافية.

مثال:

١ـ (نَسَبَ قبائل فيفا الخولانية إلى مذحج)، وذلك يصادم ما تواتر من نسبها واشتهر، وضج به الشعر والأدب والأخبار، وشاع وعُرف وسار به القوم وبموجبه أبرمت أسلافهم وأعرافهم منذ أن استوطنت فيفا هذه القبائل وانضوت تحت داعية خولان وحافظت على مركزها المتقدم وتأثيره في الكتلة اليهنوية، حتى تلاشت أسباب احتفاظها بزعامتها بعد اجتياز الباب من جبل القهر في ١٩٥٣م، فانتبذ الباحث هذه الحقائق ولم يذكرها أو يلق لها بالاً سيما وهو يؤرخ لفيفا ويبحث أنسابها؛ فإن لم يكن يدرك أهميتها كمادة تاريخية واجتماعية ذات أهمية قصوى للولوج إلى ماضيها بما يحتويه من حوادث وأنساب فما الذي حمله على التصدي لأمر لا يحسنه؟ وإن كان تجاهل ذلك عمداً فقد حكم على ما أنتجه بالفناء لفقره إلى ما قد يعد في النزاهة والدقة والأمانة، وفي غيابها جاء النسب لمذحج دون أدلة أو براهين يمكن الوقوف عليها وتأملها.

٢ـ (قوله: فيفا من سراة جنب)، فهذا القول مصادم للحقائق الجغرافية، وجبل فيفا يفصله عن سلسلة سراة جنب ما يقارب ستين ميلاً في خط مستقيم، ومن يعرف سراة عبيدة وموقعها على الخريطة سيتفاجأ بما ذكره الباحث، ومن جانبي أعتبر ذلك مجازفة منه لم يحسن تصور عواقبها، وجنايتها على بحثه وتأثيرها السلبي على القارئ البسيط فضلاً عن غيره من المتخصصين والعارفين.

٣ـ نعته جبل فيفا بـ (سراة فيفا)، فالسراة في العرف الجغرافي هي السلاسل الجبلية المتصلة، وليست القمم التي تجمعها قاعدة واحدة، كحال جبل فيفا فلا يعد سراة، وليس هو في جبال السروات وإنما جبل منفصل ومستقل عنها، فلو كانت سراة أو تنتمي إلى السراة لما تأخرت هذه التسمية الجغرافية إلى عام ٢٠١٢م ولم تظهر قبل هذا التاريخ منذ أن عرفها الإنسان.

٤ـ قوله (١ / ٣٥) إن جبل فيفا يعرف بـ "فيفاء الريح" وهذا مخالف للواقع الذي تعرفه (امبقر) فمن أين له هذه الريح؟ ومن اطلع على كتب البلدانيين العرب يعرف أين تقع هذه الـ (فيف الريح) التي أصبحت فيفاء الريح موديل(٢٠١٢م) وتذكروا أن الباحث مغرم بكل قول شاذ ومخالف لا برهان له وإنما سنعذره طالما عنَّ لمذحج ذكر!، وتقع: (بين ديار عامر بن صعصعة وديار مذحج وخثعم).. البكري، و(وفيف الريح: معروف بأعالي نجد، عن أبي هفّان).. الحموي.

خامساً: يخلط بين التدوين التاريخي والكتابة الروائية.

١ـ في قوله (١/ ٣٦) إن (الملك شمر يهرعش غزا فيفا قبل البعثة النبوية)، ولم يذكر أي شيء عن "شمر يهرعش" هذا؛ أهو الملك الحميري؟ أم السبئي؟، ولم يزد عن القول: (وُجِدَ هذا في نقوش أثرية) ولم يورد النقش الذي سيكون أقدم وثيقة تاريخية لفيفا إذا ما علمنا أن شمر يهرعش الأول حكم حوالي سنة ١٥٠م، ولمن يتساءل عن السبب الجوهري لعدم إيراده النقش الذي زعم فيه [غزوةً لفيفا من قبل الملك شمر يهرعش]، فهو أن لا شيء في التاريخ من ذلك حدث!! وإنما نسي أنه يؤرخ فمضى يكتب قصة فيلم يستوعب الخيال الأدبي كل تفاصيله، ولن يُسألُ ما الذي يُهَبِّبُهُ؟ ذلك لأنه يكتب أحداثاً

سردية في رواية تاريخية، وهذا اسمه الكذب الصريح وسنضطر أن نورد هذا الشاهد مرة أخرى للتفريق بين الخطأ والكذب.

سادساً: فوضويته في تناول الأنساب.

فجاء على نسب فيفا ونسفه دون أن يقدم خردلة في ربطها بالأنساب التي غرفها بالصاع، فلا تدري ما علاقة أبناء عطاء ببعضهم ضمن هذا الخليط من المذاحجة؟ ولا تدري أين عبيد من لبيد؟ بل جعل أبناء العمومة من خولان قبائل مذحجية متحالفة والأصول حولهم الى أحلاف وانطلق ينسب:

١ـ إلى خولان بن قحطان.

٢ـ وخولان بن عمرو بن سعد بن مذحج.

٣ـ وفروع من أبناء جلد بن مذحج.

٤ـ وفروع من مراد بن مذحج.

٥ـ وفروع من كعب بن منبه بن يزيد بن حرب بن عله.

٦ـ وبطون من رهاء.

٧ـ وبطون من أبناء عمرو بن عوثبان.

٨ـ وبطون من عبس بن حكم بن سعد بن مذحج.

٩ـ وبطون من عبس مراد بن . . مذحج.

١٠ـ وبنو سلمان بن علي بن مراد بن مذحج.

١١ـ وبنو الحكم بن سعد بن مذحج.

١٢ـ وحرب بن منبه بن أود بن صعب بن سعد بن مذحج.

١٣ـ والصلت بن معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجنبي المذحجي.

١٤ـ وشراحيل بن مذحج.

١٥ـ وشكر بن ناجية بن مراد .... بن مذحج.

١٦ـ وجذيمة بن سليم بن رهاء بن منبه بن مذحج.

١٧ـ وجذيمة بن سعد مالك بن النخع ... بن مذحج.

١٨ـ وعوف بن حريم بن جعفي بن سعد بن مذحج.

١٩ـ وهلال بن جشم بن ... مذحج.

٢٠ـ وثوعة بن عوف بن راسب بن ... مذحج.

سابعاً: الاحتجاج بما ليس فيه حجة.

مثال:

١ـ (ارتحال قبيلة (رُهاء) المذحجية عن فيفا قبل الإسلام) فهذا القول لا حجة فيه لأنه [أي الباحث] إنما جعل فيفا في سراة جنب، ثم بنى على فرضية تاريخية واحتمال ليس إلا؛ في أن (رهاء) قد تكون نزلت ببني عمومتها جنب مدة ثم واصلت الرحيل شمالاً قبل بزوغ فجر الإسلام، وكان سيكون احتجاجه وجيها لو أثبت أن فيفا من سراة عبيدة، وهو ما لم يستطعه ولن، بل لا يصح تاريخياً، وجغرافياً.

٢ـ (إيراده أسماء الأمكنة للاحتجاج بها على مذحجية قبائل فيفا) ذلك لأن أسماء المعالم الجغرافية لا يستدل بها على الأنساب، ولغة العرب مشاعة بينهم فيسمون الشواخص والمعالم الجغرافية وفق قوانين لغوية مشتركة بين الجميع، ومن خلالها منحت الأعلام أسماءها وتواضعوا عليها للاستدلال والاهتداء، وهو منهج لم يدخل في علم الأنساب ولم يسبق الاحتجاج به.

٣ـ (احتجاجه بمفردات لغوية مشتركة بين أمة العرب) حيث ساق العديد من الألفاظ التي تجري على ألسنة قبائل فيفا وقارنها بألفاظ وردت في أشعار مذحج في الجاهلية والإسلام، وليس في ذلك أدنى احتجاج على أن قبائل فيفا مذحجية؛ ولو استعرض ديوان العرب لوجدها ألفاظ شائعة ليس عند خولان بن عامر ومذحج بل في أشعار قريش وبني عامر وهذيل وتميم وغيرهم، ذلك لأن العرب جميعا يصدرون عن لغة واحدة .. ولو كان عرض للخصائص اللسانية التي انفردت بها مذحج عن سواها من قبائل العرب ثم عقد المقارنة بينها وبين الخصائص اللسانية لفيفا لكان في ذلك شيء من الاحتجاج المقبول لدى جمهور المطلعين لكنه لم يفعل.

٤ـ (احتجاجه بأعلام وردت في أنساب مذحج) على غرار ضمد، والحكم، وهلال، وحرب، وشراحيل، والصلت، وغيرهم، فعثوره عليها هناك لا يفيد حجة هنا على مذحجية قبائل فيفا الخولانية، وإنما حجة على وجود المختلف في الأسماء والكنى والألقاب، ولو كان برهاناً يجوز التعويل عليه من قبل الباحثين لا اختلطت بموجبه أنساب العرب وأعلامها وكناها وألقابها، ولما كان اجتهد الأولون في إخراج مصنفات طويلة تعرف بالمختلف والمؤتلف.

ثامناً: تفعيل المنهج عند التذحيج وانتباذه فيما عداه.

مثال:

١ـ ما ساقه أثناء الحديث عن نسب قبيلة آل بلحكم فقال: (ويظهر حسب ما أشارت إليه بعض من المخطوطات، والروايات الشفهية من كبار السن أنه قد نزح إلى قبيلة آل بلحكم بفيفا جزء من حكامية تهامة منذ عهد قديم ومع مرور الزمن ذابوا بينهم، وأرجح أن أول هذه الأسر التي نزحت إلى فيفا واندمجت مع هذه القبيلة هي البقية الباقية من اسرة حكام

المخلاف السليماني، من أبناء سليمان بن طرف الحكمي عندما سقطت إمارتهم عام ٤٤٧هـ عندما سقطت إمارتهم على يد الصلحيين في موقعة الزرايب، وقيل في عام ٤٦٠هـ والله أعلم). ج٤ ص١٢.

قلتُ: في الاقتباس السابق عدة مآخذ:

الأول: ترجيحه أن يكون أول من لجأ إليهم هم أبناء حاكم المخلاف سليمان بن طرف الحكمي .. فهذا ما لم يقدم عليه قرينة تذكر حتى يرجّح بموجبها ما ذهب إليه.

الثاني: لم يشر إلى الهجرة المعاكسة أو ما يمكن أن نسميه تبادل الهجرات بين أبناء [الحكم] بن سعد العشيرة [بحسب مزاعمه] ولماذا ضلت المجموعة المهاجرة من أبناء (آل بلحكم) طريقها عن مذحج ونزلت في (امدوشة) من خولان، ولم تنزل في سعد العشيرة؟. هو لم يقترب من هذه القصة ولم يشر إليها هنا مطلقاً.

وكما آخذناه نثني عليه في تفعيله دور الرواية الشفهية التي لا تزال مصدراً ثرياً لتاريخ وأنساب فيفا، إلا أنه وبكل أسف لم يلق لها بالاً ولم تجد الاهتمام الكافي من قبل الباحثين في الحوادث والأنساب، رغم ضرورة الاتكاء عليها في هذا الجانب، والباحث أهملها تماماً فيما أورده عن أنساب قبائل فيفا.

أما قوله: (من كبار السن) فلا صلة لهم بحوادث منتصف القرن الخامس الهجري؛ إنما مَن عناهم الباحث هم الذين يولون اهتماماً بالقصة المتناقلة عن طريق المشافهة، وقد سمعتُ من والدي أطال الله عمره، ومن جدي رحمه الله، وغيرهم العديد من القصص والأخبار ذات الصلة بالأنساب والمآثر والفروسية، تجمع بين الحكاية والأسطورة، قرائنها تشير إلى أنها حدثت ما بين أوائل القرن السابع الهجري، ومنتصف الثامن، ولستُ وحدي من سمع فغيري كذلك سمع، ومن قَبِل من الباحث حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي

رواية شفهية دون إسناد عمرها ألف سنة؛ سيكون مضطراً أن يقبل رواية متعددة الطرق بيّنة الأسانيد، عمرها من ستمائة إلى ثمان مائة سنة!؛ لأنه من البديهي كما أمكن وصول أخبار سنة ٤٤٧هـ مشافهة، فإنه من الممكن جدا أن تصلنا بذات الطريقة أبرز حوادث القرنين السابع، والثامن، وما بعدهما بصورة يغلب عليها الدقة والصلابة!.

تاسعاً: الإسناد إلى راو مجهول.

١ـ ما ساقه المؤلف في الحديث عن أنساب قبيلة آل عبدل فقال (هي إحدى قبائل آل حِجْر المتحالفة، ويقول بعضهم: إنهم يعودون من الأشراف (العبادلة) نسبة إلى الجد عبدالله بن الحسن بن أبي نمى الثاني محمد بن بركات ...) فيجر نسبهم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم يقول: (ولكن لم نجد في المصادر القديمة، والمراجع الحديثة التي طالتها أيدينا أي ذكر يشير إلى شيء من هذه الرواية الشفهية). ج٤ ص٢٦٠.

قلتُ: فتأمل عبارة (ويقول بعضهم إنهم يعودون ...) فإنه أهمل الإسناد حتى لا تنكشف أوراقه في الوضع، والادعاء، والإيهام، والحقيقة أنهم ينتسبون إلى خولان بن عامر وليسوا إلى آل البيت، لكنها حمى التذحيج التي عصفت بصدق وأمانة الباحث.

٢ـ وحين أتى الباحث على ذكر قبيلته آل الثويع وتفصيل نسبها قال: (قبيلة آل الثويع إحدى قبائل آل حجر المتحالفة، وقد اختلف في نسب هذه القبيلة فقيل إنهم يعودون من الأشراف وقد نص على ذلك صاحب مخطوط (الجواهر اللطاف المتوجة بهامات الأشراف) ص١٥، ولكن هذه الرواية لا تستند على دليل، وقيل أنهم يعودون من قبيلة مذحج والثويعي إلى جبل ثوعة) إلى أن يقول (وأما الروايات المتواترة من كبار السن فيقال: إن هذه القبيلة تعود من ثوعة من عسير، من الأزد، وهذه الرواية فيما يظهر أنها الأقرب إلى الحقيقة حيث وجدت أثناء البحث ما يدعمها، فقد ورد في بعض المراجع

المحلية (أنه في عام ٧٠٠هـ كان لحاكم عسير والياً ـ على مخلاف فيفاء قاعدة المنطقة ـ يُدعى سعد بن إبراهيم بن عيسى الثوعي) وقد تعاقبت ذريته [التي استوطنت هناك] على ولاية مخلاف فيفا إلى زمن الإمام شرف الدين الرسي)، وإذا صحت هذه الرواية وما يتناقله كبار السن فربما أن من ذريته هذه القبيلة التي تعرف حالياً بآل الثويع نسبة إلى قبيلة ثوعه بن عوف بن راسب..... والله أعلم). ج٤ ص ٣٤٧، ٣٤٨.

قلتُ: سأكون ممتناً لمن يعرف السر وراء قول الباحث: (ولكن هذه الرواية لا تستند على دليل)!!. والمخطوط ليس بحوزتي ولكني سأتوقع السبب وهو أن المخطوط لا يتحدث عن الثويعي وإنما عن الثوعي فأسقطها دون أن يناقش الرواية، أو يوردها للأمانة التاريخية ثم ينقدها ويحكم عليها، ولهذا يجب أن (تزقف سبعة) طالما لم تمذحج القوم، وهو يقبل في التذحيج ما يرويه حوذي عن اسكافي عن شيخ من دارم أنه سمع رجلاً يقول : الناس مذحج.

أما التواتر الذي زعمه الباحث فدعوة باطلة وكأنه لا يعلم أن الشيخ علي بن قاسم نسابة فيفا ومؤرخها صهر هذه القبيلة وأول من دون أنسابها معتمداً على ما ذكره العارفون ومنهم الشيخ الراحل لقبيلة آل الثويع يحيى بن أسعد رحمه الله، وهذا النسب تم نشره قبل حوالي نصف قرن، ولم يعارضه أحد من قبيلة آل الثويع منذ ٥٠ سنة مضت والرجل مؤتمن فيما دونه ولم يذكر تواتراً بمذحجيتهم فنسبها إلى أصلها خولان بن عامر.

أما قوله: (وإذا صحت هذه الرواية وما يتناقله كبار السن فربما أن من ذريته هذه القبيلة التي تعرف حاليا بآل الثويع). مرة أخرى تأمل:

١ـ وإذا صحت هذه الرواية.

٢ـ وما يتناقله كبار السن.

تكون النتيجة [فربما] .... و(الفاء) واقعة في جواب الشرط (إذا) ... إنه يشترط!! وبالتأكيد لا الرواية تصح، ولا ما ادعاه الباحث من روايات.

٣ـ وعند كلامه على آل الصلت قال الباحث: (ينضوي تحت هذا الفرع عدة قبائل متحالفة هي الآتي: (١ـ قبيلة أهل مدر. ٢ـ قبيلة آل امحرب. ٣ـ قبيلة الأيتام. ٤ـ قبيلة آل محمد. ويطلق عليهم جميعاً آل الصلت، والظاهر أنه نسبة إلى الصلت بن معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجنبي المذحجي ... وإذا كان كذلك فقد يكون الصلت جداً لبعض من هذه القبائل، فانتمت إليهم القبائل الأخرى بـ (الحلف) لأن القبائل تداخلت في الأنساب، وقد بين الدكتور جواد علي الأسباب التي أدت إلى ذلك، ومنها الأحلاف التي تطورت فيما بعد إلى الدخول في النسب، والتنقلات القبلية، والجوار بينهم لسنين طويلة). ج٥ ص ٥.

قلتُ: وانظر لقوله هنا: (والظاهر أنه نسبة للصلت بن معاوية..) فما هو معوله لهذا الظهور؟ أليس التشابه في الاسم؟ ويشترط أيضاً كما مر بنا فيقول ([وإذا] كان كذلك) ثم يضع الفاء جواباً للشرط ويقول ([فقد] يكون الصلت جداً لبعض من هذه القبيلة)، وهذا منطق عبثي لا يقبل به عاقل، وليس بهذا المنهج تعطل الأنساب، [فإذا كان] .. [فقد يكون]، فهل رأيتم كهذا التاريخ الذي يكتبه؟.

(٩)

ما هو والكذب؟.

عندما احتج عدد من الأخوة القراء على وصفي لبعض أقول الباحث بأنها تندرج في قائمة الأكاذيب؛ مطالبين أن أتحاشى هذا الوصف، ولم ألمهم على ذلك فقد تخفى على الندرة من القراء تلك الحدود الفاصلة بين الخطأ والصواب، والصدق والكذب، واليوم سنعرض لهذه الفروق بشكل مفصل ليتبين لنا مدى مطابقة الوصف لواقع تلك العبارات التي وصفتها بالكذب حين استللتها من أقوال الباحث ولا يمكن نعتها بغير ذلك، لننظر تعريف الكذب والصدق حتى نفصل بينهما، فلا نسمي الأشياء بغير أسمائها فننعت الكاذب صادقاً والصادق كاذباً وفي ذلك فساد وشر وظلم بيّن، قال الزركشي: (الكذبُ: الإِخبار عن الشيء بخلاف ما هو به، مع السهو والعمد، وشرطت المعتزلة العمد، وفي الصحيح : «منْ كذبَ عليَّ متعمدًا... »). البحر المحيط (٦ / ٧٧).

قلتُ: الكذب عند الزركشي ومن تابعه هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه سوءً كان سهواً أو عمداً فلا تعريف له إلا الكذب، أما المعتزلة فاشترطوا تعمد الوضع في الخبر بما يجعله مخالفاً لما هو فيه .. وحجتهم أقوى فالمتعمد أمكن وصفه بالكذاب، ونعت خبره بالمكذوب، بينما الفريق الأول يذهب تعريفهم للخبر عند الاطلاق ولا يمتد إلى المُخْبِر الذي قد يكون في حكم الساهي.

(الصدق: في اللغة: مطابقة الحكم للواقع، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحق في مواطن الهلاك، وقيل: أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب. قال الكشيري: الصدق: ألَّا يكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب، وقيل:

الصدق: هو ضد الكذب، وهو الإبانة عما يخبر به على ما كان). التعريفات للجرجاني ص١٣٢.

وقد ذكر قبل ذلك ما يحسن أن نورده هنا وهو قوله: (وأما الصدق فقد شاع في الأقوال خاصة، ويقابله الكذب، وقد يفرق بينهما بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع، وفي الصدق من جانب الحكم، فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع، ومعنى حقيقته مطابقة الواقع إياه). الجرجاني التعريفات ص٨٩.

قال المؤلف: (قد يكون فيفا اسم حلف كما قيل (عسير) هو اسم لحلف تم بين قبائل شنوئه [هكذا] وقبائل مذحج في عهد الملك "شمر يهرعش" الذي غزا فيفاء قبل البعثة النبوية، وقد وجد هذا في نقوش أثرية). ج١ ص ٣٦ .

قلتُ: فعبارة: (قد يكون فيفا اسم حلف) قولٌ مردود من وجوه:

الوجه الأول: لاستهلاله قائلاً: [قد يكون]، فكلما جاء بعد هذه الجملة ضرب من التخمين، والرجم بالغيب، لا يفيد العلم، ولا يصنف في التاريخ ولا الأنساب ولا الجغرافيا ولا النقوش، ولا الآثار عموماً.

الوجه الثاني: إنّ "فيفا" صيغة تأنيث وعلم على جبل الذي يقع شرق مدينة صبيا تسكنه مجموعة من قبائل اليهانية الخولانية، وإذا تحدثنا عن (جبل فيفا) اعتبرنا [فيفا] نعتاً لمذكر فنقول: [وجبل فيفا يرتفع عن سطح..] أما إذا تحدثنا عن فيفا بمفردها اعتبرناها نعتاً لمؤنث محذوف فنقول: [وتقع فيفا في ..] فحذفنا المنعوت وهو [ديار] تلك الديار التي تشمل السفوح الجنوبية الممتدة على ضفاف جورا، والسفوح الممتدة غرب وشمال ضمد فكلها ديار تابعة لفيفا.

الوجه الثاني: إنّ الحلف في صيغة المفرد لا يمكننا نعته بضمير المؤنث، وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: (لقد حضرت في دار ابن جُدعان حلفا لو دعيتُ إليه الآن لأجبت) وهو حلف الفضول. فلم يقل لو دعيت إليها.

الوجه الثالث: إنّهم يقولون (فيفا مِهِا جرف يومٍ ولـ امشروقية) بإمالة [مِهِا] للتأنيث، ولو كان حلفا لقالوا [مَهَا] دون إمالة للمذكر.

أما قوله إن الملك "شمر يهرعش" غزا فيفا قبل البعثة النبوية؛ فأكذوبة متعمدة لا دليل عليها مطلقاً، ولا سبيل هنا للوهم، ولا مكان للالتباس في هذا الخبر مع غيره فموقعها الجغرافي معروف وحدودها معروفة بينة وليس هناك نقش يذكر فيفا أو غزوة لملك سبئي أو حميري، وأما ما ساقه المؤلف على صفحتي (٢٩٦و٢٩٧) من نفس الجزء الأول فقال: (وفي تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي، إن الملك (شمر يهرعش) جمع قوة في مدينة (صعدة) في خولان العالية، أي الشمالية (خولان جدداً) ثم تقدمت منها نحو الشمال الغربي إلى حدود (خولان) القديمة في وادي (دفا) حيث حاربت القبائل المجاورة الساكنة في الغرب).... ثم يعلق الباحث بالقول: (قلتُ: إن من القبائل التي تقع في الغرب وفي الشمال الغربي من صعدة خولان القديمة (خولان بن قحطان) ومنها قبائل فيفاء وبني مالك فيفاء، وهذا يدل على أن ديار هذه القبائل ليست من ديار خولان قضاعة، ولا ينتمون إلى سكانها الخولانيين، فقد حدد النص الذي أورده الدكتور جواد حدود ديار خولان قضاعة بوادي دفا ومن وادي (دفا) تبدأ حدود القبائل التي تقع في الشمال الغربي (خولان القديمة) خولان بن قحطان). ج١ ص٢٩٦و٢٩٧.

قلتُ: سنضطر هنا إلى إعطاء المتابع جرعة أكبر من التفصيل حتى يستوعب هذه الخلطة العجيبة التي قادنا إليها الباحث مع سبق الإصرار.

وهنا سنورد العبارة التي نقل عنها من المفصل بتمامها ثم نجري مقارنة بين عبارات الباحث؛ ومع ما أورده الدكتور جواد علي الذي قال: (وبعد أن عاد الملك "شمر يهرعش" من حملته على وادي حضرموت، عاد فقاد حملة أخرى على "أرض خولان الددن"، "أرض خولن الددن"، "خولان الدودان".

وقد كلف الملك أحد قواده بأن يعسكر في مدينة "صعدة" "بهجرن صعدتم"، ويضع بها حامية، ثم يقوم بقطع الطريق على بعض فلول "خولان الدودان"، وقد نفذ القائد ما طلب منه، فتعقب تلك الفلول.

ولما أنهى الملك الحرب التي قام بها في أرض "خولان الدودان" حارب جيشه فلول "سنحن" "سنحان" في وادي "دفا"، وقد مَنَّ الإله "المقه" عليه، فأعطاه غنائم وأسرى وسبايا وأموالاً طائلة، أرضته وشرحت صدره.

وعاد الملك "شمر يهرعش" فأصدر أمره بوجوب الزحف على "سهرتن" "سهرتان" و"حرتن" "حرتان"، أي: أرض قبيلة "حرت" "حرة". وهي أرض ورد اسمها قبلاً، حيث سبق للملك أن زحف عليها، وذلك قبل استيلائه على حضرموت.

ولما انتهت القوات من مقاتلة "سهرتن" و"حرتن"، اتجهت نحو الشمال لمحاربة فلول "نشدال" "نشد إيل" في وادي "عتود" الذي يصب في البحر الأحمر، والذي يقع على مسافة "٨٥" كيلومترًا إلى الشمال الغربي من "جيزان"). مفصل ج ٤ ص٢٠٧ الطبعة الرابعة ٢٠٠١م [على المكتبة الشاملة] .

قلتُ: والنص بتمامه موجود في عدد من مراجع، وانظر: محمد بن علي الحجري [لغة الضاد ونقوشها المسندية]. ج٢ ص١٠١٦، والآن نتناول الفروق بين النصين:

النص الأول: نقله الباحث عن صاحب المفصل كما أشار وفيه:

١. الملك (شمر يهرعش) يجمع قوة في مدينة (صعدة).

٢. في خولان العالية.

٣. أي الشمالية (خولان جدداً).

٤. ثم تقدمت منها نحو الشمال الغربي.

٥. إلى حدود (خولان) القديمة في وادي (دفا).

٦. حيث حاربت القبائل المجاورة الساكنة في الغرب).

النص الثاني: لجواد علي الذي نقل عنه الباحث وفيه:

١. الملك "شمر يهرعش" قاد حملة على "أرض خولان الددن" "أرض خولن الددن". قلتُ: [ترجمتها الجدد].

٢. كلف الملك أحد قواده بالبقاء في مدينة "صعدة" "بهجرن صعدتم"، ويضع بها حامية.

٣. ليقوم بقطع الطريق على بعض فلول "خولان الدودان". [ الجداد].

٤. وقد نفذ القائد ما طلب منه، فتعقب تلك الفلول.

٥. لما أنهى الملك الحرب التي قام بها في أرض "خولان الدودان" حارب جيشه فلول "سنحن" "سنحان" في وادي "دفا".

٦. مَنَّ الإله "المقه" عليه، فأعطاه غنائم وأسرى وسبايا وأموالًا طائلة، أرضته وشرحت صدره.

٧. عاد الملك "شمر يهرعش" فأصدر أمره بوجوب الزحف على "سهرتن" "سهرتان" و"حرتن" "حرتان"، أي: أرض قبيلة "حرت" "حرة".

٨. أرض ورد اسمها قبلًا، حيث سبق للملك أن زحف عليها.

٩. قبل استيلائه على حضرموت.

١٠. ولما انتهت القوات من مقاتلة "سهرتن" و"حرتن" اتجهت نحو الشمال لمحاربة فلول "نشدال" "نشد إيل" في وادي "عتود".

وفيما يلي قراءة حرفية لمدلول النقش الذي تحدث عنه صاحب المفصل كما أوردها الحجري:

(أبو شمر أولط وأخوه رفأ الشوس من بني حفين وذو زنيم أقيال قبائل أيفع أقنيا المقه الصلم المذهب والذي راق له، وذلك تعبيراً عن الحمد له بأن عادوا بالسلامة والنصر من تلك الغزوات والحملات التي قاما بها مع الملك شمر إلى بلاد خولان صعدة، كما ولاهما الملك شؤون تموين وتدعيم الحراسة لمدينة صعدة ولإقرار الأمن فيها ونواحيها بعد أن حاربهم الملك، وبعد أن قاموا بحملة على قبائل سنحان صعدة القائمين بسروات وادي (دفا)، وقد تغلبوا عليهم وأخضعوهم وغنموا منهم، وقد غزوا هذه المنطقة مع أقوال وكبار وقادة الملك شمر كما قاموا بحملة على السهرات والأطراف منها كما حاربوا قبائل نشود الله بمرتفعات (وادي عتود) وقد حمدوا هيبة ومقام المقه لما حصلوا عليه من كل تلك الحملات من أسلاب وغنائم كثيرة وإرجاع المتمردين إلى الطاعة فليساندهم المقه بسلامة أسماعهم وطيب الإقامة والحظوة ورضا الملك شمر ووفرة الثمار والأمطار التي ترضيهم بالمقه). ج٢ ص٧٧٣ و٧٧٤ [لغة الضاد ونقوشها] وراجع نص النقش المصاحبة للمقال . . والآن نستعرض الفوارق:

أولاً: عند صاحب الأمانة التاريخية الشيخ الفاضل حسن بن جابر شريف الثويعي:

١. الملك شمر يجمع قوة في مدينة صعدة. (صاحب الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء).

٢. الملك شمر يقوم بحملة على خولان صعدة واسمهم خولان الأجدود، [الجداد]. (صاحب المفصل في تاريخ العرب).

٣. الملك شمر يغزو بلاد خولان صعدة (النص الأصلي للنقش ـ عن الحجري).

النتيجة: تطابقت أقوال المفصل والنقش، وشذ قول صاحبنا مؤلف الاستقصاء.

ثانياً: عند صاحب الأمانة التاريخية:

١. خولان العالية ...(الاستقصاء).

٢. .....(لا وجود لها في المفصل).

٣. .....(لا وجود لها في النقش).

ثالثاً: عند صاحب الأمانة التاريخية:

١. أي الشمالية (خولان جداً). (صاحب الاستقصاء لتاريخ جبال فيفا).

٢. .....(لاوجود لخولان الشمالية عند صاحب المفصل).

٣. .....( لم يرد ذكر لخولان الشمالية في النقش).

رابعاً: عند صاحب الأمانة التاريخية:

١. ثم تقدمت منها نحو الشمال الغربي. (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء).

٢. لما أنهى الملك الحرب التي قام بها في أرض "خولان " حارب جيشه فلول "سنحن" "سنحان" في وادي "دفا". (عند صاحب المفصل).

٣. وبعد أن قاموا بحملة على قبائل سنحان صعدة القائمين بسروات وادي (دفا) وقد تغلبوا عليهم وأخضعوهم (نص النقش).

النتيجة: إن صاحب الاستقصاء انفرد عن المفصل والنقش بقوله تقدموا نحو الشمال الغربي.

خامساً: عند صاحب الأمانة التاريخية والدقة واحترام العلم والبحث والتحرير:

١. إلى حدود (خولان) القديمة في وادي (دفا). (صاحب الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء).

٢. حارب جيشه فلول "سنحن" "سنحان" في وادي "دفا" (قال سنحان ولم يرد ذكر لحدود ولا لخولان القديمة .. المفصل).

٣. قاموا بحملة على قبائل سنحان صعدة القائمين بسروات وادي دفا (قال سنحان بسر وادي دفا ولم يرد ذكر حدود ولا خولان قديمة النقش).

النتيجة: انفراد صاحب (الاستقصاء) بذكر أمة يطلق عليها (خولان القديمة) لا وجود لها في المفصل ولا في النقش.

سادساً: عند صاحب أمانة النقل، والتأليف، والبحث العلمي، والباحث المدقق الدقيق، وبقية الصادقين باعث الأمانة من مرقدها:

١. حيث حاربت القبائل المجاورة الساكنة في الغرب (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء).

٢. ولما انتهت القوات من مقاتلة "سهرتن" و"حرتن" اتجهت نحو الشمال لمحاربة فلول "نشد ال" "نشد إيل" في وادي "عتود" (المفصل قال نحو الشمال الذي أصبح غرباً عند صاحب الاستقصاء).

٣. كما قاموا بحملة على السهرات والأطراف منها كما حاربوا قبائل نشود الله بمرتفعات (وادي عتود). (من السهرات انطلقوا لقبائل نشد إيل التي ترجم اسمها من النقش نشود الله).

النتيجة: انفراد الباحث النحرير بقية البررة الصالحين الشيخ حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي بقوله: (غرباً) فلله هو من باحث.

وهكذا يمكننا التماح الفوارق بين النص الذي زعم الباحث أنه نقله من المفصل وبين نصي المفصل والنقش الأصلي الذي كان المؤرخ الدكتور جواد علي يتحدث عنه . . لكن مهلاً! ماذا لو كان الباحث لا يقصد النقل الحرفي عن المفصل وإنما بالمعنى؟ سنرى لا تستعجلون! ولمن لديه فكرة ولو بسيطة جداً عن الصدق فلينظر هنا إلى استنتاجات الباحث التي استقاها من النص وهو يتعامل معه على أساس أنه اقتباس حرفي وليس فيه أي تصرف . . فتأملوه معلقاً:

(قلتُ: إن من القبائل التي تقع في الغرب وفي الشمال الغربي من صعدة خولان القديمة (خولان بن قحطان) ومنها قبائل فيفاء وبني مالك فيفاء، وهذا يدل على أن ديار هذه القبائل ليست من ديار خولان قضاعة، ولا ينتمون إلى سكانها الخولانيين، فقد حدد النص الذي أورده الدكتور جواد حدود ديار خولان قضاعة بوادي دفا ومن وادي (دفا) تبدأ حدود القبائل التي تقع في الشمال الغربي (خولان القديمة) خولان بن قحطان والله أعلم). ج١ ص٢٩٧.

وأقول: ما ذكره من قبائل تقع في الغرب وفي الشمال الغربي من صعدة ينعتها بـ (خولان القديمة) ثم يزعم أنها (خولان قحطان)، فمجازفة أخرى تسمى في نقد الرواية [الكذب] وقد أسميتها مجازفة، فإذن هي مجازفة واستنتاج لا يعضده دليل حتى تقوم الساعة، وإنما تلاعبَ بالنص فجعل الملك يجمع قواته في صعدة ولم يذكر أنه شن عليها حملة تأديب، والنص يذكر أن الحملة كانت لتأديب خولان الأجدود (الجديدة) في صعدة، ولم يرد ذكر لـ [خولان القديمة] سواء في المفصل أو في نقش دفا، ولم يذكر

[خولان قحطان] في أيهما، لقد جاء بـ (خولان القديمة) لأنه اعتقد خطأ أن القارئ سيقع في فخ [خولان الأجدود] الجديدة، الذي نصبه ليدشن في مقابله [خولان القديمة] موديل ٢٠١٢م ولم يعد له حجة بعد تلاعبه في النقل، ولا يُقبل ما بناه عليه لأن حكمه البطلان بالجملة.

وأما قوله: (ومنها قبائل فيفاء وبني مالك فيفاء) فقول لا يلتفت له في شيء، كونه قد بناه على قول باطل قبلاً، لكني أود التنويه أنني هنا لا أعلم علما اسمه (بني مالك فيفاء) وإنما (بني مالك)، ولا أطلق عليهم هذه التسمية ولا يعرفون بها في قبائل فيفا [بحسب علمي] إلا ما قد يكون في الشتات للتفريق بينهم وأخوتنا (بني مالك الحجاز)، وهذا الاستغلال لهذا النعت من قبل الباحث لا يبرره شيء ولا يمكن أن يجعل من هذه التسمية حقيقة تاريخية تحيل إلى تابعية، بل إن منهم شيخ شمل اليهانية وهو من قبيلة آل سعيد الذين ذكرهم التاريخ منذ زمن الهمداني وما قبله وبما أن فيفا من اليهانية فإن القَيْل الذي ترجع له هو العثواني من آل سعيد من بني مالك ومع هذا لم ينسبنا أي باحث إلى بني مالك مع أن ذلك ممكن تاريخياً وقبلياً والحالة كما سبق.

إذن فـ (بني مالك) جيراننا لم ينعتهم التاريخ ببني مالك فيفا أبداً وليس هناك مصدر أو مرجع تاريخي ينعتهم بـ (بني مالك فيفا) وهذا مخالف للواقع والعرف والتاريخ، نعم هم لن يعارضوا الانتماء الروحي لفيفا كما أننا لا نعارض الانتماء الروحي لبني مالك أو سواهم من أبناء هذا الوطن فنحن أشقاء، لكنه ليس هناك فيفا مالك، ولا مالك فيفا، والباحث ليس لديه ذريعة تحمله على هذه التسمية المستحدثة حين يؤرخ لفيفا ولن يذهب خيالنا عند ذكر (بني مالك) فنتساءل من هو المقصود عند المؤلف؟.

أهي قبيلة بني مالك التي في الحجاز؟ أم هي التي في العراق؟ أم هي جارتنا؟ بل سينصرف الذهن مباشرة إلى بني مالك الجنوب جارتنا وشقيقتنا طالما كنا نقرأ عن فيفا.

أما قول الباحث: (وهذا يدل على أن ديار هذه القبائل ليست من ديار خولان قضاعة، ولا ينتمون إلى سكانها الخولانيين).

قلتُ: لقد صنع الدليل بنفسه وها هو يستدل به، ولم أورد كلامه هذا لأدفعه طالما كان باطلاً وإنما أوردته ليعرف القارئ دقة الباحث وأمانته . . ومن يجد في نفسه الرغبة في الدفاع عن الاستقصاء والتمذحج فليأتي هنا ليدافع لا أن يتفرج كيف استدل الباحث على أن فيفا وبني مالك لا ترجع في بلد خولان الأجدود وإنما في بلاد خولان القديمة التي هي خولان قحطان، طالما ساق الباحث أدلة كما ترون!! . . وسيعجزُ الإنس والجن على أن يجدوا له منفذاً ولو كان بحجم ثقب الإبرة، اللهم لا شماتة.

وقول الباحث: (فقد حدد النص الذي أورده الدكتور جواد حدود ديار خولان قضاعة بوادي دفا).

فأقول: هل رأيتم كيف يجازف [يكذب] على الدكتور جواد علي؟ إنه باحثكم الذي دافعتم عنه هيا اخرجوه من هذا المأزق إن كنتم فاعلين . . لا طبعاً هذا يسمى الباطل، فلا نص هناك يحدد ديار خولان قضاعة، ولم يكن النص ولا النقش هو الذي حدده بل يد الباحث وقلمه، وكذبه على التاريخ والجغرافيا والأنساب، ها هو يصنع حججه أمام أعيننا ثم يحتج بها علينا في تذحيج قبائل فيفا اليهنوية الخولانية!. لا طبعاً ليس بهذه الطريقة يكون البحث العلمي والاستدلال، ولا هكذا تساق القرائن، إنه باحث يتعمد المجازفة [الكذب] على قرائه ويستغفلهم وينسب لأهل العلم ما لم يقولوا حتى يغير في أنساب فيفا . . فيا للعجب!!.

والباحث لم يكن يعلم أن دليله هذا سيكون الأقوى على تهافت ما لفقه ثم ذهب إلى صحيفة إلكترونية يحكمها الرعاع فيروج لكتابه السقيم مدعياً أنه عثر على أول من أسلم من فيفا . . ولو اكتفي بذلك وغاب عن حملته الدعائية لكان أكثر توفيقاً ولكن الله أراد أن يكشف ستره فحضر نهاية المهرجان والمهزلة الدعائية وألقى خطاباً بليغاً حملَه إلى القراء بواسطة ولده، حتى يتأكد القارئ ويطمئن إلى أن الحملة الدعائية قد تمت بمعرفة الباحث فلا يستغل أو يستغفل من جهة أخرى لا صلة لها بالكاتب، فكانت الحملة بتدشينه وإقراره ومتابعته، ورضاه، ولم ينكر بنداً من البنود التي تضمنتها الحملة الدعائية التي افتتحت بالقول: صدر مؤلف جديد عبارة عن موسوعة بعنوان (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء) في خمسة أجزاء لمؤلفه الشيخ حسن بن جابر شريف الفيفي، ومن خلال القراءة لبعض ما ورد فيه يُلاحظ القارئ المتأني أن الباحث – وفقه الله – اكتشف حقائق تاريخية أو جزئيات منها ثم قام بسبكها في نسيج محكم مدعم بالبراهين الواضحة وعلى الوجه الذي يجعلها مقبولة لدى كل منصف.

و مما استعرضه المؤلف في هذا البحث على سبيل المثال الآتي:

- ـ قبائل فيفاء وأصولها القديمة وأنسابها وبطونها وفروعها الحديثة.
- أخبارها في العصر الجاهلي وبعد ظهور الإسلام.
- دخول الإسلام فيفاء وما جاورها من القبائل.
- أول من أسلم من فيفاء.
- دورها في الفتوحات الإسلامية.
- الولاة التابعة لهم فيفاء في عصر النبوة.

قلتُ: هل رأيتم كلمة (محكم) ؟ إنها للتغرير والابتزاز فلم يكن البحث محكماً أو مسبوكاً، ولم يفي بشيء مما وعدَ به القارئ أما بند (أول من أسلم من فيفا) فحكاية مرمعة!! . . ثم ختم هذا الفصل الهزلي من الدعاية بخطاب موجه جاء فيه:

(لم نتجاهل أي شخص كبيراً كان أو صغيراً كما تشاهدون في الكتاب، والمُنصف لا يُنكر ذلك، فقد أوردنا أسماء أشخاص لا تتجاوز أعمارهم السنة وربما أقل من ذلك، وذلك حسب تعاون الشخص معانا أثناء البحث، وإذا كان من عتب فهو على من يُزودنا بالأسماء حيث أننا أكثر ما نعتمد على جمع هذه الأسماء من أفواه كثير من المتعاونين معنا من أفراد كل قبيلة فنحن لا نُحيط بأسماء أفراد قبائل فيفاء بيتاً بيتاً، وهؤلاء الأشخاص قد يصيبون وقد يخطئون، وربما قد ينسون بعض الشخصيات من القبيلة من حيث لا نعلم. ذكرت أنك أعطيتني بطاقة الأحوال الخاصة بك لآخذ منها الاسم والجد، وفي الحقيقة لا أذكر ذلك، وقد يكون ما ذكرتَ صحيحاً، ولكن الذي أذكره أنك كنت عندنا في تبوك، ومن خيرة الجماعة ومن الشخصيات الفاضلة وفقكم الله، ولا أُخفيك سراً أنني عانيت كثيراً في سبيل توثيق بعض الأسماء، فبعض الناس لا يعرف من أجداده إلا من كان مثبتاً بالهوية فقط مما يضطرنا للبحث عن حقيقة نسبه من بعض قرابته أو جيرانه، وقد يخطئون أو يصيبون فيما يقولون). ثم ذيل الخطاب بالتوقيع:

محبكم: حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي.

قلت: أعد قراءة السطرين الأخيرين في ضوء نقله واقتباسه عن الدكتور جواد علي من المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام.

و يا أيها الأخوة القراء كنت أرغب مواصلة الرحلة خدمة للبحث العلمي والتاريخ والانساب، ولأن ما سقته حتى الآن لا يشكل ثلث ما في (الاستقصاء) من الطوام

المهلكات التي تدفع القارئ الأمين إلى التنويه عنها، لكنه الملل الذي يعصف بك وأن تقلب الأكاذيب مجتهداً أن تقدم لها موازنة . . وحين تكتشف الباطل عياناً بياناً جهاراً نهاراً فإنك تشعر بالملل لا محالة . . وهذا تبديد للجهد والوقت، ووصيتي للقارئ الكريم أن لا يحسن الظن في مصنف اسمه "الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء" فقد احتشد بالباطل وتعمد صاحبه الكذب والدس والطعن دون أدلة مهما لفقها وتلاعب فيها إلا أنها تبدو في غاية الضعف والتضارب والتناقض حينما صاغها في مهزلة لا تخطر على بال باحث مهما تجاهل قيم العلم والمعرفة وانتهب المؤلفات السابقة للشيخ علي بن قاسم ولم يشر إليها إلا في حالات خاصة ونادرة إلى ما اجتمع له من مؤلفات وبحوث آل طارش وغيرهم وليته تركها على ما هي عليه لكنه تصرف في نصوصها أحيان كثيرة حتى يسلم من مغبة النقل دون العزو وسماها (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفا) فراح يكتب عن مذحج وتاريخ مذحج وأخبار مذحج فأبعد النجع . . اعتقاداً بأن ذلك سيبعد عنه التهمة، وحين استعرضنا استقصاءه لم يسلم له دليل، ولم تتماسك له حجة، وفي خضم الفساد العصري العميم، كان لا بد من مواجهته دفاعاً عن شرف العلم وصيانة له أن تدنسه الأنامل الآثمة التي لا تؤمن بقيم الصدق والأمانة والدقة والنزاهة، فيضاف إلى التراث البشري ما لا يصح أن ينتمي إليه وإلى الفكر . . وللعلم شرف رفيع لا يناله الأدعياء.

أيها الأخوة كان هذا حكمي على الاستقصاء ومنهجية صاحبه قصدت بها وجه الله ثم خدمة للعلم، وقد غضب من غضب ورضي من رضي اللهم إن كان جهدي قصدت به رفعة العلم ونزاهته فاكتب لي ثواب عملي واغفر لي وتجاوز عني أنت حسبي ونعم الوكيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين . انتهى .

(١٠)

سراة جنب التي هي اليوم (سراة عبيدة) سلسلة جبلية بطول ٧٠ كيلو مترا أفقي أما فيفا فجبل مستقل يبلغ طوله الأفقي حوالي ١٤ كيلومترا في عرض يترواح من ٧ كيلو مترات إلى ٩ لكن المؤلف أسماه سراة . . وأضاف لها فيفا لتكون (سراة فيفا) وما حد أحسن من حد !! .

قلتُ: من قرأ كتاب (الاستقصاء لتاريخ فيفاء) سيعثر على جملة من المآخذ المتعددة ولا يسلم منها المؤلف مهما تكلفنا له الأعذار، ومنها:

الاجتهاد فيما لا محل فيه للاجتهاد، كموضوع انتساب قبائل فيفا إلى هانئ بن خولان بن عامر.

فالمؤلف مستيقن تماماً من مسألة تواتر هذا النسب، ويعلم تمام العلم أن ذلك ترويه أجيالٌ عن أجيال تماماً كما تروي قبيلة الأشراف نسبها، واحتشدت أشعارهم بهذه (اليهنوية) ثم (الخولانية)، وفي القاعدة الفقهية (لا اجتهاد مع النص)، ولم يختلف العارفون في نسب قبائل فيفا، مطلقاً لم يحدث اختلاف، وكلهم على يهنويتها الخولانية ومع ذلك قال: (إلا أني أختلف معهم [يقصد من سبقه في ذكر نسب قبائل فيفا] في بعض وجهات النظر حول نقاط معينة، أهمها النسب لأهميته، وهي اجتهاد شخصي مني كمعالجة لجزئية مهمة من تاريخنا وتاريخ المنطقة مبني على أساس ثابت من أدب المناقشة والدلائل والقرائن الثابتة). ج١ص١٣ .

وتأمل مرة أخرى هذه العبارة: (وهي اجتهاد شخصي مني كمعالجة لجزئية مهمة من تاريخنا وتاريخ المنطقة مبني على أساس ثابت من أدب المناقشة والدلائل والقرائن الثابتة).

قلتُ: الضمير (هي) عائد للنقاط المعينة، أما كلمة (مبني) فتعود على (اجتهاد)، بحيث جاء الاجتهاد (على أساس ثابت)، ولننظر مدى مطابقة هذه العبارة للحق والواقع، فالأساس الثابت الذي يوجب الاجتهاد نلخصه في التالي:

أولاً: (خفاء الحكم)، ومسألة النسب إلى هانئ بن خولان غير خافية في قبائل فيفا، وقد ذكر اشتهار ذلك صراحة لكنه أرجعه إلى الذهول والنسيان [ستجد ذلك مفصلاً في الحلقة الخامسة من هذه السلسة وناقشناه باستفاضة].

ثانياً: (تضارب الأقوال داخل فيفا حول النسب)، وهذا ما لم يحدث منذ استقرت أصول تلك القبائل في جبل فيفا ونمت وازدهرت من عصور ما قبل الإسلام إلى يومنا هذا والأول يروي للاحق انتماءهم لخولان بن عامر عن طريق الفرع هانئ بن خولان.

ثالثاً: (تضارب الأقوال حول النسب من خارج فيفا)، وهذا لم يحدث مطلقاً بين قبائل خولان بداعيتيها (الفرودي) و(اليهنوي) أو بين (شعشع) و(العَلْيَيْن) أو (صحار) سحار (وجماعة)، فكل هذه الشعوب تعلم انتساب فيفا إلى هانئ بن خولان.

رابعاً: (التضارب في نصوص الوثائق والأعراف حول انتمائها) وهذا لم يرد بتاتاً في أي وثيقة كانت، فهي أي قبائل فيفا تبرم معاهداتها وأعرافها وأسلافها النصية مع القبائل الأخرى على أساس الانتماء والنسب الذي تعرف به ونصت عليه الوثائق لقبائل هانئ بن خولان بن عامر على الدوام، أو قبائل خولان عموماً.

فإذن: لا أساس ثابت يزعمه المؤلف أو يدعيه ليكون دافعاً لاقصاء قبائل فيفا عن (هانئ) ثم عن (خولان بن عامر)، بل جاء بالغول والعنقاء دون مبررات منهجية علمية، أو منطقية عقلية جدلية . ثم لننظر العبارة التي تلتها وهي قوله: (أدب المناقشة).

قلتُ: يقصد بهذه العبارة: حق الباحث في تناول ما يرى أهمية بحثه ونقاشه، ولا بأس فذلك حق مكفول للعلم والبحث، شريطة أن يوجد المشكلة أولاً، وهو ما لم يقم به إما لجهل منه وهو المرجح، أو لتجاهل أملته اغراءات حظوظ النفس المختلفة، وهو أمر متوقع، ولأن المشكلة غائبة تماماً ولا يمكن التكهن بها أهي فقهية تعود للإرث؟، أم منهجية شرعية تعود للأعراف والأسلاف القبلية المتفق عليها؟ أم تقسيم قبلي جديد لا ينظر للأصول والأنساب، اخترعه المؤلف على أسس سياسية بحتة؟ إذا ما أخذنا في الاعتبار أن قبائل سراة جنب المذحجية شمال قحطان تقع في الأراضي السعودية ومشيختها سعودية، بينما غالب خولان بزعامتها القبلية وشمل مشيختها في أبناء (مقيت) شمال شرق صعدة باليمن . . فالمؤلف لم يوجد المشكلة التي دعته إلى خلط الأوراق، والعلم لا بد أن يناقش ما يتعرض له ولا يغيب جذر المشكلة أو يركَبُها هكذا دون سرجٍ أو زمام، والعلم سيتصدى له ويسأله: (أنّى لك هذا)؟.

وتحت عنوان منهج الكتاب قال المؤلف: (بذلتُ جهوداً مرهقة من البحث في المصادر، والمراجع، والتقصي، والمتابعة، لاستنباط الحقائق من بين أطناب الشوائب والاجتهادات، وإعادتها إلى مسارها الصحيح حتى نقدم لأجيالنا مرجعا من جذورنا التي تضرب في عمق التاريخ ). ج١ ص١٧.

قلتُ: هو يسمي ما فعل استنباطاً للحقائق من شوائب الاجتهادات، وأنا أسميه كذباً صريحاً وتلفيقاً و(خرفعة محموم)، والخوف من الولاءات القبلية لا محل له في العقيدة

الوطنية لأبناء فيفا حيث تتلاشى كل الولاءات في حضرة الوطن، وليس هناك ما يدعو إلى صناعة رابطة قبلية على أرض الوطن وهدم الروابط القبلية والأنساب خوفاً من انتمائها إلى خارج الوطن، وقد ظل هذا القسم اليهنوي الخولاني على الوفاء بالعهد لأرضه ووطنه وولاة أمره منذ تأسيس المملكة العربية السعودية وإلى اليوم وستظل، وليس هناك من داع إلى فصلهم عن جذور نسبهم بالكذب والهلس ولا يشكل ذلك هاجساً لدى الدولة، ونصف قبائل جنوب الجزيرة العربية فروع من قبائل يمنية كبرى ولا ينتظر المسؤولون في دولتنا الرشيدة من أحد أبناء تلك القبائل التبرأ من نسبه وإنكار جذوره لينال زلفى، فمن لا خير فيه لماضيه كان من باب أولى أن لا يكون فيه خير لحاضره ومستقبله سواء أكان من يام الحاشدية أو هانئ الخولانية أو فرود الخولانية أو ودعان أو آل جابر أو غيرها.

ثم كيف نقرأ التراث وفق عاطفة مذحجية؟ وقد تركنا مؤلف الاستقصاء هكذا بين عاطفتين ولم يقدم خطة أو مقترحاً لمواجهة اليهنوية الخولانية التي يضج بها مورثنا الأدبي، من أخبار قبائل، ومواثيق، وأسلاف، حين قال بأن قبائل فيفا مذحجية انتسبت خطأً لخولان بعد أن نسيت جدها الحقيقي الذي هو مذحج!!، وبهذا يكون تراثنا من الشعر والقصة والخبر بحاجة لقراءة أخرى تتفق مع المحمولات الجديدة وتواكبها، من أجل الإبقاء على هذا التراث وعدم التخلص منه بحجة صدوره عن عاطفة ضالة، تحزن لفقيد لا صلة لها به، وتمجد أمة أخرى وتعتقد أنها تمجد نفسها . . وتغضب على أبناء عمومتها وهي لا تعلم أنها إنما تغضب على ذاتها، وتهجو ابن عمها ولا تعلم إنما تهجو نفسها، وتعادي جيرانها وتتحالف ضدهم وهي لا تدرك غنماً كانت تتحالف مع الغرباء ضد نفسها، أمة ترثي فقيد مذحج على أنه من خولان، وهذه العاطفة الضالة كان سببها نسيان

أبيها وجدها، والذهول عنهما كما أفادنا مؤلف كتاب "الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء" وهنا مرثية لأحد الشعراء المعاصرين لنقرأ بعض ما جاء فيها على سبيل التمثيل، قال الشاعر:

سبحان رب العرش ذا يحكم بما يريد * * * خولان بِنْ عامر فِـ ظلمة تبكي امردود يا مَكْثَرَ الأسف

سالم على ميداننا قِـ دِّلِيَ اللحود * * * وابن علم يحيى فِـ فيفا باب من حديد

وقوله :

الله انا سالك تيجب النصر للحفيد * * * عثوان قلب اليهنوي ومروح الوريد

تم نفلها بتصرف اقتضاه المقام من موقع بني مالك على الشبكة الإلكترونية، وهي طويلة ولم يُذكر قائلها إلا أن مناسبتها تؤكد حداثتها وهي رثاء الشيخ سالم العثواني وشيخ فيفا حسن بن علي اخترت منها للنشر ما تعوزه قراءة أخرى تسير في الركب الجديد، فهذه العاطفة الجياشة ستكون لمذحج وفقاً للاستقصاء تم صرفها خطأً لخولان، وهذا الحزن والأسف والثكل إنما هو في مذحج وفقاً للاستقصاء لا في خولان، وسنواجه هذا التضارب في العاطفة بمنهجية الباحث حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي، وهي [الشطب]، ولا شيء آخر فنشطب الجد (خولان بن عامر) من الشطر الثاني لكي تستقيم العاطفة في النص وتتوجه وجهتها الصحيحة فيصبح بعد الشطب: [رجال بِنْ مذحج فِـ ظلمة تبكي امردود]، إنما قد نقع في إشكالية بسيطة وهي كون الشيخ سالم امعثواني رحمه الله ليس من ردود مذحج وإنما من ردود خولان وفي هذه الحالة يتوجب علينا السير مع "الاستقصاء" لنعيد العاطفة مجراها الصحيح فنذهب لـ [شطب] خولان واستئصاله من

الأنساب كما استأصلناه من النصوص ونحرق الجزء الأول من الإكليل الذي خصصه الهمداني لأنساب خولان.

ثم نجعل بدلاً عنه مذحج فيصبح امعثواني من ردود مذحج حين لا وجود لشيء اسمه خولان.

لكن ذلك أيضاً سيفتح ثغرة بسيطة إنما يمكن تلافيها بسهولة ويسر، وتتمثل في بقاء قضاعة على خارطة الأنساب بما ينتمي إليه من أعلام في جاهلية وإسلام، ذروتهم أنصار خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، مع إصرار التراث الإسلامي على ذكرهم وإيراد نسبهم، وما علينا في هذه الحالة إلا أن نجمع كتب الأنساب التي أتت على ذكر قضاعة أو ترجمت لأبنائه من تاريخ خليفة بن خياط، إلى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر، وما تلاه من كتب الرجال، مروراً بسير أعلام النبلاء للذهبي، وميزان الاعتدال له، ثم لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، وجميع موسوعات التراجم على رأسها كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، فنحشدها أجمع ونحرقها من أجل بقاء مذحج، وحين يأتي من يحتج علينا أن حِمْيَر كان له ولد اسمه قضاعة وقد اختفي من خارصة أنساب العرب سنة ٢٠١٢م متزامنا مع ظهور مصنفٍ اسمه "الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء" عندها لزمنا أن نجمع كل المصادر التي تذكر قوما اسمهم (حِمْيَرْ) ونحرقها ونتخلص منها، فلو نجم شخص يدعي أنه افتقد أبناء سبأ بن يشجب، عمدنا فوراً إلى المصادر التي تذكره فنؤججها ونتأكد أنها [خَفِتَت] تماماً . . فإن تجرأ أحدُ وتساءل ما بال قحطان بن عابر ضاع واحدٌ من فروعه؟ . . عمدنا إلى جميع المصادر التي تأتي على ذكره فأحرقناها في كومة واحدة . . وحين أخذت ألسنة اللهب تتصاعد تذكرنا أننا بهذا قد محونا مذحج من الوجود بينما كان هدفنا الأساس هو محو خولان بن عمرو بن قضاعة لا سواه، فإن استنقذنا بعض المصادر

حفاظاً على مذحج فقد أحيينا ذكر خولان ولابد. وإن تركنا النار تواصل مهمتها فقد أزلنا مذحج لا محالة. وكأنه يلزمنا لتغيير حقيقة تاريخية ثابتة أن نضرم النار في التراث العربي والإسلامي على مر العصور، ونهدم سلسلة الأنساب أجمع ونشطبها حتى لو كان ذلك التغيير في بيت من الشعر الشعبي الملحون . . أما الثمن فهو تذحيج قبائل فيفا وشطب نسبها إلى خولان. هل رأيتم استحالة العبث بالأنساب؟ وهذا ما لم يكن يدركه مؤلف كتاب الاستقصاء.

(١١)

ما بعد الرحلة!

دائماً قيل: "كفى المرء نبلا أن تعد معايبه"، وقد التزمت دوماً تجاوز المحاسن التي هي أصل في العلم إلى الخلل الذي لا يمكن التغاضي عنه وهو الطارئ على العلم، والأجدر بالناقد أن يشير لمواطن الضعف أولاً ثم يتجاوزها إلى مواطن القوة والجمال، وهذا المنهج لستُ فيه بدء وقد درج عليه الكثيرون من أرباب النقد . . وإذا كان من السهل حصر العيوب في بحث "الاستقصاء" فإنه من العسير استعراض محاسنه في مساحات لن تكون ضيقة مع ضعف الهمة وتضعضع العزيمة وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن باب الأمانة والإخلاص أدعو المؤلف إلى إعادة تنقيح بحثه وفق منهجية واستراتيجية علمية أكثر رصانة، وليس بالضرورة أبداً أن يكون وفقاً لما قلت فلا أدعو لنفسي وأفكاري أبداً وإنما وفق المنهجية الخاصة بدراسة التاريخ والأنساب، وتلك أمنية كل محبٍ حتى يخرج البحث بشكل أروع وأعمق بما يخلص إليه من نتائج، وسيسعد المنصفون بكل تعديل منهجي علمي حتى ولو كان مخالفاً لرؤيتي مائة وثمانون درجة ذلك لا يهم، بل المنهجية وحدها هي الفيصل .. ومن أساسياتها تخلص الباحث من الأهواء والنزعات والميول العاطفية كي لا تؤثر سلباً على نتائج بحثه فيخرج للناس ذرائع تذهب لدعم رغباته وميوله، ومعه تنكب سبل البحث من المناهج العلمية والحرص الشديد، والحياد التام، فلا يوجد عمل بشري كامل، ذلك محال، ولا ندعي أن كتاباً بشرياً أو بحثاً يخلو من عيب أو نقص، حتى عمل الناقد ومنها هذه الحلقات التي قرأت فيها "الاستقصاء" فلا

أعدها في القول الفصل، ولا تخلو من العيوب والنقص ويبقى الكمال لله، وكل ما نقوله ونكتبه عرضة للنقد والتعديل والتصحيح إلى ما شاء الله.

وكنت فيما مضى من حلقات أعرض ما رأيته جانب الصواب، ولم أداهن أو أمالئ الصديق الكريم والأخ الفاضل على حساب العلم والمعرفة والمنهجية والضبط والتحقيق، فسميت الأشياء بأسمائها، سالكاً في ذلك منهج نقد الرواية والرواة عند أهل الجرح والتعديل وجعلتها أداة لا أتجاوزها أو أعدوها إلى غيرها ما استطعت وذلك هو البغي والظلم والحيف، فتجردت للنهوض بهذه المهمة ما وسعني التجرد والحياد، حفاظاً على العدالة وصوناً لها من أن يقتحمها من لا يحسن مقاربتها، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) آية (٥٨) النساء. ومحاولة مني لتدارك الضعف فقد اجتهدت في المذاكرة، وراجعت منطلقات أحكامي، وعدلتُ مقالاتي مرات عدة بعد تسليمها للصحيفة الناشرة وأزعجت رؤساء التحرير في كل من الشقيقتين فيفاء أون لاين وفيفاء نيوز، حتى فاض بهم الكيل واكتفت فيفاء أون لاين بنشر النسخة ما قبل التعديل الأخير من الحلقة السادسة ونشرت فيفاء نيوز النسخة الأصلية ولهذا جاءت مختلفة، كل ذلك من أجل أن تكون الأقرب للصواب . . وكانت هذه الرحلة التي استغرقت تسع حلقات طوفنا فيها عوالم كتاب "الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء" لمؤلفه الشيخ الفاضل أبو عبدالله حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي أمد الله في عمره وخلع عليه أثواب الصحة والعافية ونفع بعلمه، وجعل جهده وبذله في موازين حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون، وهو رجل جاد ومثابر عرفته مهتماً بكل ما يتعلق بفيفا وتاريخها، ووجدته باحثاً شغوفاً بالمطالعة والتحصيل في شتى المعارف، يتمتع بدماثة الخلق وطيب المعشر، رجلٌ أعدُّه من

أبناء فيفا المخلصين، وكتابة التاريخ أكثر حساسية من غيرها، وقد ولَّى عهد الانحطاط الفكري إلى غير رجعة بمشيئة الله، وأصبح النقد والمتابعة شريكاً فاعلاً في الحركة الفكرية التي يشهدها عالمنا العربي.

بقي النقد محايداً منذ انطلاقة النهضة الأدبية والفكرية التي امتدت إلى المملكة في ستينات القرن الميلادي المنصرم رغم النشاط في حركة التأليف والنشر المتصاعد بشكل واضح إلا أنه ظل متقوقعاً على نفسه، وبقيت المؤلفات في التاريخ والجغرافيا والأنساب في منأى عن التناول النقدي إلا بعد وفاة أصحابها، وذلك من شأنه تكريس ما حررته ولهجت به في أذهان الجيل، وتحاشي المعاصرين لتقويم النتاج الفكري لمعاصريهم يزيد من تفاقم ضعفه، فبقيت ثقافة النقد مغيبة غير مدركة، وكيف يمكن استيعابها والحال هكذا؟، والله لو كان والدي أو ولدي أو شقيقي من أَلَّف وخلط الأوراق في مصنف علمي متداول لتصديت له وتابعته وبينت ما أعلمه من خطل منهجه، وقد سكت القوم عن زيف بعضهم حتى إذا أصبح المؤلف من أصحاب القبور نهض النقد من مرقده بالنقد لتناول نتاجه ولكن بعد فوات الأوان، حيث تكون المعلومة قد ترسخت في الأذهان وأصبحت من المسلمات لدى الجيل، والسكوت عن الزلل سبب في استمرائه، ولو سألني سائل عن الدوافع الحقيقية لما أقوم به من نقد للمعاصرين؟ وهذا يخالف ما اعتاده الناس منذ زمن الانحطاط الفكري؟ لقلتُ: لا سبب سوى عشقي للمعرفة، وللمعلومة الصادقة، التي يسوؤني رؤيتها مشوهة شمطاء مكفهرة . . لا أحد ينصرها أو يدافع عنها في زمن الفساد، ولن يسألك الله عما جهلته من العلم مثلما سيسألك عما علمتَه وكتَمتَه ولم تبينه للناس، وذلك هو دافعي الذي يشعرني بالرضى سواء كنت فيه مخطئاً أم مصيباً؛ لا يهم، والأعمال بمقاصدها، ليس لي في ذلك أي مردود مادي أو معنوي، وليس هناك من يدعمني أو

يحرضني أو يناصرني إلا الله ثم ضمير المعرفة، ولا أنتظر ثواباً غير ثواب الله ورضاه . .
ومن هذا المنطلق كنت أرحل مع كتاب "الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء" غير متجاهل الروابط التي تجمعني مع مؤلفه الفاضل الصديق الوفي الشيخ حسن بن جابر شريف الذي كانت له معي وقفة مشرفة لا يمكن نسيانها مطلقاً حينما زارني في منزلي بجازان قبل عدة سنوات وما زال جميله يطوق عنقي ما حييت فأثابه الله وأجزل عطاءه لقاء بره بي ومساندتي، وليست لي أية بحوث في الأنساب أو التاريخ، لفيفا أو غيرها، وقد كنت ألفت قديماً [لمحة تاريخية أدبية عن فيفا] وتم فسحه، لكني وزعت نسخته مصورة وأخي حسن لديه نسخة منه عديمة الفائدة كما أشار وقد والله صدق، لقد كان طموح الشباب ورغبتي حينها أن أكون في قائمة المؤلفين، لكني عدلت عن هذه الفكرة نهائياً، وما زلت أحتفظ بها إلى الآن ولعله جاء من أبنائي من يكملها ويطبعها ذات يوم متى تيسر ذلك، أما أنا فقط فلا، وهذه رسالة للدهماء خصوصاً: [بأنه لا دوافع من حسد أو غيرة أو سواها هي التي أملت رحلتي مع الاستقصاء البتة].

قلتُ: ومناهج البحث العلمي متاحة لمن شاء أن يتصدى للبحث والتأليف، وعليه أولاً أن يحصر المشكلة، ثم يدرسها جيداً ويضع الفرضيات لحلها وهو مالم يتحقق في الاستقصاء الذي أوجد مشكلة حقيقية قائمة، حين تصدى لموضوع لا يعد في الإشكالات وإنما في المسلمات وأمر النسب حكمه التواتر، لقد خلق مبحثه مشكلة لا يمكن السكوت عنها أو تجاوزها في ظل منهج متضعضع واهن لم يخضع لنقد الباحث أولاً، فارتضى له أن يخرج على هذا النحو من التضارب فجاء يلعن بعضه بعضاً.

نعم أحفظ لأخي الشيخ حسن بن جابر كافة حقوقه كاملة لا أبخسه شيئاً بمشيئة الله، كما أحفظ للعلم حقوقه فلا أبخسه شيئاً، ولن يلزمني أحدٌ بالتغاضي والسكوت عن حق

العلم، وخصوصاً حين تردني الأسئلة والاستفسارات ما رأيك بما قاله فلان في تاريخ فيفا؟، ولو لم أكن ممن يسألون في هذا الصدد لما بينت حكمي، والغريب أن يأتي من يطالبني بالسكوت.

وهنا آثرت أن أنوه ببعض منهجيات الباحث وأولها: تبني الشك بغض النظر عن تفريطه فيه وتوظيفه الخاطئ إلا أنه لافت للنظر كفعل يحمد لأجله الكاتب، ولن يعد تناوله نقداً ما لم يشك في المعطيات الماثلة كحافز ومحرض على الانطلاق والتنقيب عن الحقائق المستيقنة، وهكذا نجد المباحث الناجحة التي يكتب لها الخلود دائماً تمنح الشك براحاً أكثر اتساعاً ضمن معادلاتها الساعية إلى اليقين، وهو المنهج الذي يمنح الباحث قدراً كبيراً من الشجاعة والحرية والاستقلالية بغض النظر عن النتائج التي يتحكم فيها المنهج، فخرج كتاب "الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء" بأحكام وفرضيات جديدة مثيرة للجدل لم تكن لترى النور لولا ذلك المبدأ الذي أتقنه المؤلف وهو يتعامل مع موضوع مكرور لا جديد فيه، وقد يكون الشطط مدعاة لطلب القسط.

ثانياً: منهج الاستقصاء في حفظ الأنساب.

إنها الخطوة الثانية بعد شيخنا ومؤرخنا الأسنى القاضي المبجل علي بن قاسم بن سلمان الفيفي، خطوة ستحسب لصاحب "الاستقصاء" وبها سيذكره التاريخ ما دام هذا الجزء النبيل من ساق الغراب: جبل فيفا وقمته المنيفة العبسية، وبلاد بلغازي وقمتها الشامخة صماد، وجبال بني مالك بقمتها السامقة طلان. خطوته إلى التوسع في ذكر الأسماء المعاصرة، ولن يعيبه كونه اعتمد على ما سبق تدوينه من قبل الشيخ على بن قاسم ومتابعته في نقل الأخطاء كما وردت في المنهل قبل أربعة عقود لن يعيبه ذلك حين اتخذه أساساً في التوسع لسلاسل الأنساب على هذا النحو الذي قد يراه البعض إسهاباً لا نفع

فيه، ولا شك أنني وددت أن تكون الأنساب في عشرة أجزاء فتلك هي القيمة العالية التي ستبقي "الاستقصاء" حياً آلاف السنين . . هذا الحشد والشمول من المؤلف سيكون نواة لحفظ أنساب فيفا حتى انتهاء الزمان، وسجلاً ومرجعاً ثم مصدراً حين تتعاقب الأمم وتتوالى الأعصر.

فأخذ الكاتب على عاتقه إشباع هذا العنوان واستقصى كما لم يُسبَق إلى ذلك في تاريخ فيفا، ووعد أن يحقق ذلك يقيناً ففعل ووفى بما وعد، وسيستدرك ما فاته من النسب ويعدل قوائم الأسماء والسلاسل الخاطئة ويرجع إلى تنويهات القراء فالمشروع مشروعه وإن كان جليلاً وشاقاً إلا أنه له أهل وكفؤ نسأل الله له التوفيق والسداد لاستدراك ما يستوجب الاستدراك، وبخروج الطبعة الثانية منه سيتعزز خلوده وسيبقى فذا كقمة العبسية لا ينال من تطاولها تعاقب الأيام تماماً كما سيبقى ذكر مؤلفه في أذهان الأجيال المتعاقبة من أبناء فيفا وهو معاصرنا الشيخ حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي أطال الله في عمره علماً من أعلام فيفا ورمزاً من مفاخرها العظام.

ثالثاً: المنهج الجغرافي الذي التزمه الباحث عندما نَصِفُ كتاباً بالنفاسة فإننا نقصد استيعابه عزيز المعارف، ونادر المعلومات، ونعده مصدراً لها، ومن يمعن النظر في كتاب "الاستقصاء" يجد ذلك جلياً حيث احتشد بالمعلومات الجغرافية العزيزة عن فيفا بصورة شاملة ودقيقة مستفيداً ممن سبقه فجمع وأوعى وأخرج مرجعاً بحق في هذا الجانب لا يضاهيه مرجع سابق عن فيفا، فلم تخلو صفحة من صفحاته من معلومة تتعلق بنسب أو قصة أو حادثة أو إحالة طريفة تتعلق بفيفا . . والمؤلف سيستغني بالتأكيد عن الكثير من الحواشي الموسوعية الخارجة عن موضوع الكتاب في الطبعات القادمة ليكون بعدها أنفس ما أُلِّفَ عن هذا الجزء من ساق الغراب، ولعله قد يستغني عن اللون الأحمر فيما

يخص أبيات الشعر، ويتخلص من تاريخ مذحج وأنسابها لعدم العلاقة بقبائل فيفا اليهنوية الخولانية . . كما أنه سيهتم بالعزو والاقتباس بشكل يرتقي به إلى مصاف البحوث المحكمة والرسائل العلمية . . والمؤلف وفقه الله حينما تأخر في إصدار الكتاب كل هذه السنين التي كما أشار في المقدمة فإنما كان يحشد ويستوعب ويضيف بغض النظر عن الخطأ والصواب والصدق والكذب الذي سيعسى إلى تخليص الكتاب من أوزارها في طبعاته القادمة ليزداد نفاسةً وقوةً وخلوداً.

المتابعين الكرام باسمكم جميعاً أتوجه بخالص الشكر والتقدير لابن فيفا البار الشيخ حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي لقاء ما بذله من الجهد والوقت ليخرج عملاً لا ينكر أهميته إلا جاهل جحود، والكمال لله وحده، ونصيحة أبوية لكل الباحثين الشباب من أبناء فيفا هواة التاريخ والأنساب الاهتمام بالأبحاث التي من شأنها أن تسد ثغرة تاريخية مجهولة متكئين على معطيات التكنولوجيا الحديثة، وبهذه المناسبة أهديكم هذا العنوان الذي ذكّرني به أخي عبدالله وهو: (جبل فيفا في العصر الحجري) خذوهُ واشتغلوا به حتى يخلص تماماً وستنهال عليكم العناوين تباعاً.

وامتناني أخيراً لمؤلف الاستقصاء الذي أتاح لنا فرصة الحوار والمذاكرة فيما يخص فيفا.

بقلم

الكاتب والناقد والأديب

محمد بن مسعود بن يحيى العبدلي الفيفي

حفظه الله ووفقه

# تمت

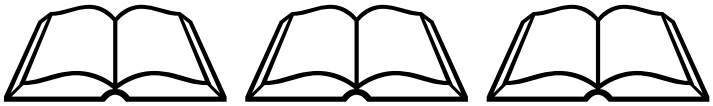

انتهيت من جمع وترتيب هذه الحلقات

في يوم السبت

٢٥ / ٣ / ١٤٤٠هـ

Eisa850@hotmail.com

تويتر : Eisa850

جميع الحقوق محفوظة